تلخيص كتاب الأربعون في عظمة الربّ

الشيخ محمد بن صالح المنجد.

عطاء
البناء المنهجي

الفهرس

المقدمة: ٤
الحديث الأول: ٥
الحديث الثاني: ٦
الحديث الثالث: ٧
الحديث الرابع: ٩
الحديث الخامس: ١٠
الحديث السادس ١١
الحديث السابع: ١٣
الحديث الثامن: ١٤
الحديث التاسع: ١٦
الحديث العاشر ٢٠
الحديث الحادي عشر: ٢٢
الحديث الثاني عشر: ٢٤
الحديث الثالث عشر: ٢٥
الحديث الرابع عشر: ٢٦
الحديث الخامس عشر: ٢٦
الحديث السادس عشر: ٢٨
الحديث السابع عشر: ٢٩
الحديث الثامن عشر: ٣١
الحديث التاسع عشر ٣٢
الحديث العشرون ٣٤
الحديث الحادي والعشرين: ٣٥

الحديث الثاني والعشرون: ٣٧
الحديث الثالث والعشرون: ٣٨
الحديث الرابع والعشرون: ٤٠
الحديث الخامس والعشرون: ٤١
الحديث السادس والعشرون: ٤٥
الحديث السابع والعشرون: ٤٦
الحديث الثامن والعشرون: ٤٧
الحديث التاسع والعشرون: ٤٩
الحديث الثلاثون: ٥٠
الحديث الحادي والثلاثون: ٥٢
الحديث الثاني والثلاثون: ٥٣
الحديث الثالث والثلاثون: ٥٤
الحديث الرابع والثلاثون: ٥٥
الحديث الخامس والثلاثون: ٥٧
الحديث السادس والثلاثون: ٥٧
الحديث السابع والثلاثون: ٥٨
الحديث الثامن والثلاثون: ٥٩
الحديث التاسع والثلاثون: ٦٠
الحديث الأربعون: ٦١
ملخص أهم ما تضمنته أحاديث هذا الكتاب: ٦٢

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالألوهية جميع مصنوعاته، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فربنا سبحانه وتعالى ربٌ واحدٌ، خالقٌ رازقٌ حيٌّ، قيومٌ صمدٌ، عظيمٌ قديرٌ، حليم كامل في جميع أوصافه وأسمائه.

وهو يدبر الأمور في العالم العلويّ والسفليّ، فيخلُق ويرزق، ويُغني ويُفقر، ويُعزُّ ويُذلُّ، وهو ﴿هُوَ الأوَّل والْأَخِرُ والظاهرُ والْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهو العظيم ذو الجلال في ملكه وسلطانه، يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه. وهو المعظَّم الذي تُجِله المخلوقات وتُسبحه. ومن عظمته ما قال ابن عباس: "ما السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهما في يد الله، إلا كخردلة في يد أحدكم"، ومن عظمته: ﴿والأرضَ جميعًا قبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَالسَّمَاواتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ﴾.

وهو الذي تخشع لعظمته القلوب والأبدان، وفي هذا الكتاب جُمِع لأربعين حَديثًا في عظمته سبحانه بالشرح والبيان، سائلين الله أن ينفع به ويدفع به.

الحديث الأول:

عن عمران بن حصين، قال: "دخلت على النبي ﷺ اليوم وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: "اقبلوا البُشري يا بني تميم"، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: "اقبلوا البُشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم"، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض"، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها".

جاء أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن أول هذا الأمر، يعني أمر الخلق وبداية العالم. فقال ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء غيره".

معنى الحديث: أنه تعالى هو الأول قبل كل شيء، الذي لا يُتَصَوَّر لأوَّليته مبدأ حتى يمكن أن يتصور قبله شيء، كما أنه الآخر بلا نهاية.

- قوله ﷺ: "وكان عرشه على الماء.. وخلق السماوات والأرض" أي كان عرشه على الماء وقت خلْق السماوات والأرض، ويدل ذلك على أن خَلْقَ العرشِ سابقٌ لخَلْقِ السماوات والأرض، ويدل على أن الله تعالى خالق كل شيء، والخلق من صفات الكمال ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾، فلا يجوز أن ينفك عن هذه الصفة، ولكن كل مخلوق محدث مسبوق بالعدم، وليس مع الله شيءٌ قديم.

- قوله ﷺ: "وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض" أُضيفت الكتابة هنا إلى الله، ولا يلزم منها أنه باشر الكتابة بنفسه؛ بل يجوز أن يأمر بذلك من يشاء، و «**الذكر**» **هنا هو مَحَلُّ الكتابة، وهو اللوح المحفوظ**. والمراد أنه تعالى كتب كل ما أراد إيجاده من تلك الساعة التي جرت فيها الكتابة حتى قيام الساعة.

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" قال: "وعرشُه على الماء".

الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها.

- **مراتب الإيمان بالقدر:**

لا يتِمُّ الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة:

١) العلم.

٢) والكتابة.

٣) والمشيئة.

٤) والخلق من الله سبحانه وتعالى.

- **أولًا: الإيمان بعلم الله الأزلي بالأشياء قبل كونها:**

﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فدل على أنه أحاط بكل شيء علمًا، وعَلِم ما كان، وما يكون، وما سيكون جملةً وتفصيلًا.

- **ثانيًا: الإيمان بالكتابة:**

وأن كل شيء كُتب في اللوح المحفوظ قبل كونه وهذا ما دل عليه هذا الحديث، قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، فالله أجرى القلم على اللوح المحفوظ ليكتُب المقادير وِفق ما سبق به علم الله وإرادته؛ فالعلم سابقٌ على الكتابة، ولكن ليس كل معلوم لله سبحانه مكتوبًا؛ لأن الذي كُتِبَ إلى يوم القيامة فقط: "إنَّ أوَّل ما خَلَقَ الله القلم، فقال: اكتب، قال: ما اكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبَد".

- **ثالثًا: الإيمان بالإرادة والمشيئة:**

فنؤمن أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته، الدائرة بين الرحمة والحكمة، وما وقع من ذلك فإنه مطابقٌ لعلمه السابق المكتوب في اللوح لمحفوظ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

- **رابعًا: الإيمان بالإيجاد والخلق:**

فنؤمن أن الله خالقُ كلِّ شيء، وأن كل ما سِواه مخلوق؛ فهو خالق العامل وعمله، وأن كل ما يجري من خيرٍ وشرٍ شاءه الله وخلقه.

فنؤمن أن هذه المراتب الأربعة شاملةٌ لما يكون من الله تعالى نفسه، ولِما يكون من العباد، ونؤمن أن الله جعل للعبد اختيارًا وقدرة يكون الفعل بهما، فكتابة الله وتقديره ليسا منافيان لمشيئة الإنسان واختياره؛ لأن الله كتب عِلْمَه بما يعمل المخلوق وما يترتبُ على عملِه، ولم يجبره على فعلِ المعاصي بل زجره عنها، وخلى بينه وبين نفسه؛ ليختار ما يريد.

- وقوله ﷺ: "وعرشُه على الماء" أي قبل خلق السماوات والأرض، وفيه دليل على أنه خلق العرش قبل القلم، فهو كتب مقادير الخلق حين كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكتابةُ القلمِ للقدر كان في الساعة التي خُلق فيها.

الحديث الثالث:

عن جُبير بن مطعم، قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بسورة الطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾، قال: "كاد قلبي أن يطير".

قَدِم جبير بن مطعم المدينة بعد وقعةِ بدر، وكان إذ ذاكَ مُشركًا، فلما سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآيات؛ كانت بدايةَ هدايتهِ ودخولهِ للإسلام.

وفي هذه الآيات: استدلالٌ بأمرٍ لا يُمكنهم إنكاره إلا بالخروجِ عن العقل والدين؛ لأنهم منكرون لتوحيد الله مكذبون لرسوله، وهذا مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

- **حصر الحالات المحتملة في أصل الخلق:**

قد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمر لا يخلو من ثلاث:

١) **إما أنهم خُلِقوا من غير شيءٍ وهو محالٌ**؛ لأن تعلُّق الخلقِ بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجَدوا بلا خالق.

٢) **أو أنهم خلَقوا أنفسهم وهو محالٌ أيضاً**؛ فلا يُمكِن أن يخلِقُوا أنفسهم من العدم، فما لا وجود له كيف يَخلُق؟

٣) **فلمّا بطل هذان الأمران لم يبق سوى أمرٍ ثالث وهو أن الله خلقهم**، فيُعلَم أنه المعبود وحده المستحق للعبادة.

- وقوله: ﴿أم خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ استفهامٌ لتقرير النفي، ويعني أنه إن جاز لهم أن يدَّعوا خلْق أنفسهم؛ فليدَّعوا خلْق السماوات والأرض أيضًا، ولا يُمكنهم أن يدَّعوا ذلك بأي وجهٍ من الوجوه، فقامت الحُجَّة عليهم.

- وقوله: ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾: أي ليس عندهم علمٌ تامٌ ينفعهم بالأدلة الشرعية والعقلية.

- وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾: أي أعندهم خزائن رحمة الله فيُعطون من يشاؤون ويمنعون من يُريدون؟

- وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾: **المُحاسِبون للخلائق**.

فهم حجروا على الله أنه أعطى النبوة للرسول ﷺ، وكأنهم المفوضون على خزائن رحمته ﷻ، وهم أذل من ذلك، فليس في أيديهم نفعٌ ولا ضر.

فقول جُبير: "كادَ قلبِي أن يطيرَ" دل على قوة دلالة الآيات حتى أدخلت الإيمان في قلبه وأسلم.

وهذا من الأدلة التي تُسمى بالسبر والتقسيم، وهو أن نحصر الأشياء الممكنة ثم نقول: أيهم الصحيح؟ حتى نصل إلى البُرهان.

- **ضوابط السبر والتقسيم:**

قال الشنقيطي -فيما معناه-: "السبر والتقسيم عند الأصوليين يُستعمل لاستنباط علة الحكم الشرعي وله ضابطان:

١) **الأول حصرُ أوصاف المقيس عليه.**

٢) **والثاني إبطال ما ليس صالحًا للعلة**، فإن كان الحصر والأبطال قطعيين؛ يكون الدليل قطعيًا، وإن كانا ظنيين أو أحدهما ظني؛ كان الدليل ظنيًّا".

وعلى هذا فالآيات السابقة تكون دليلًا قطعيًا.

الحديث الرابع:

قَالَ أَنَسٌ: "كُنَّا نُهِينَا فِي الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن شَيْءٍ، قَالَ: وَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، يَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ، وَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: "صَدَقَ". قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: "اللهُ". قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: "اللهُ". قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ؟ قَالَ: "اللهُ". قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: "صَدَقَ". قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: "صَدَقَ". قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: "صَدَقَ". قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ". وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا الْحَجَّ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: "صَدَقَ". قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ ثُمَّ وَلَّى، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزْدَادُ وَلَا أَنْتَقِصُ مِنْهُنَّ شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ".

والسائل هنا ضِمام بن ثعلبة، وكان معروفًا بحُسن السؤال، وقد نهى الله عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، أما ما يحتاجون إليه فلا مانع من السؤال عنه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فكان يُعجِب الصحابة أن يأتي من أهل البادية من لم يبلُغه النهي عن السؤال ويكون عاقلًا؛ لأن العاقل أعلم بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه، فيسأل وهم يسمعون فينتفعون بالجواب.

فاكتفى ابن ثعلبة هنا بأسئلةٍ سهلة، يكون في جوابها إثباتٌ لوجود الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة، يُوقِن بها بصدق الرسول ﷺ.

قال العلماء: "وهذا من حسن سؤال الرجل وترتيبه، فإنه سأل أولًا عن صانع المخلوقات، ثم أقسم عليه أن يَصْدُق في كونه رسولًا، ولمّا وقف على رسالته وعِلمِها أقسم عليه به"، بتصرف يسير.

وهذا استدلال بالمخلوقات على الخالق قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، فذكّر الله خلقه بهذه الأمور ليستدلوا بما فيها من عبرٍ على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته، وقدرته على بعثهم يوم القيامة، وعلى صحة خبر المعاد والجزاء.

ونبه القرآن الكريم الرجُلَ البدوي على الاستدلال بما يُشاهده على قدرة خالقهم: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، وأنه رَبٌّ عظيمٌ لا يستحق العبادة أحدٌ سواه.

الحديث الخامس:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ -يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا" قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. **«الميثاق» هو العهد.**

- **المواثيق التي أخذها الله على بني آدم:**

ذكر بعض أهل العلم أن الله أخذ على بني آدم ثلاثة مواثيق:

١) **الأول الميثاق المذكور في الحديث**، وهو الذي أخذه الله تعالى على بني آدم حين أخرجهم من ظهر أبيهم، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.

٢) **أمّا الثاني ميثاق الفطرة**، وهو أنه تعالى فطرهم على توحيده ودينه، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، كما في الحديث: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ".

٣) **والميثاق الثالث ما جاءت به الرُسل، وأُنزِلت به الكتب**، تجديدًا للميثاق الأول، وتذكيرًا به كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

فمن أدرك الميثاق وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول، فإنه يَقبَل ذلك من أول مرة. ومن أدركه وقد تغيرت فطرتُه، فإنه إما أن يتداركه الله برحمته فيرجع إلى الفطرة، وإما أن يبقى مُكذبًا لهذا الميثاق، فيكون مُكذِّبًا للأول؛ فلا ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه، فتقوم عليه الحُجَّة ويستحق العذاب.

أما من لم يدرك الميثاق الثالث، كأن يموت صغيرًا قبل التكليف، فإن كان مُسلمًا فهو مع أبويه، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان فاعلًا لو أدركه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: "اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ".

ولذا بطلت حُجَّة الكافرين بأخذ هذه المواثيق عليهم: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فاليوم انقطعت حُجَّتهم، وثبتت حُجَّة الله عليهم.

الحديث السادس:

عن أبي هريرة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً".

في الحديث بيان لقدرة الله، وأنه الخالق وحده وكل ما سواه مخلوق له، وفيه تحدٍّ وتوبيخ لمن ذهب يخلُق كخلق الله، والوعيد هنا للمصوّرين الذين يُضاهئون بخلق الله فيصنعون التماثيل وصور ذوات الأرواح.

- قوله "فليخلُقوا ذرّة" **يعني نملة صغيرة فيها روح، كالتي خلقها الله.**

- قوله: "أو ليخلُقوا حبة أو ليخلُقوا شعيرة" **أي حبة فيها طَعْمٌ، تُؤكل وتُزرع، وفيها ما يُوجد في الشعير.**

والغرض من هذه الأوامر التعجيز، فمرة يكون في خَلق الحيوان وهو أشد، ومرة يكون في خَلق الجماد وهو أهون، ومع كل هذا لا قدرة لهم على أيّ منهم.

ومن أمثال القرآن: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، فالآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خَلق الذبابة ولو اجتمعوا جميعًا في صعيدٍ واحد، فكيف بما هو أعظَم منها.

ثم بيّن ﷻ عَجْزَهم عن استنقاذهم ما يَسلُبُهُم الذباب فقال: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ كطيبٍ ونحوه. فإن كانوا عجزوا عن خلق أضعف الحيوان أو دفع أذيته، فكيف يكونون معبودين؟ فمن جعل هؤلاء آلهةً مع القوي العزيز فما قدرَه حَقَّ قدرِه.

وختم المثل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، أي كامل القوة والعِزَّة، خلق كل شيءٍ وعزَّه فقهره وغلبه. فمن كمال قُوَّتِه وعِزَّتِه أن نَواصيَ الخلق بين يديه، ومن كمالِه أنه يُمسِك السماوات والأرض أن تزولا، ومن كمال قوته أنه يبعَثُ الخلق جميعًا بصيحةٍ واحدة، وأنه أهلك الجبابرة بشيءٍ يسير كصيحةٍ أو رجفة. فالله يخلق من العدم بأن يقول للشيء: "كن" فيكون، فهل يقدر سواه على ذلك؟

فغاية ما يقدِر عليه البشر أن يُحوِّلوا شيئًا من المواد التي خلقها الله من صورةٍ إلى أُخرى، لكن الله هو الذي أوجدها من العدم ثم سخّرها لهم، ولم ينتفعوا بها أبدًا لولا ذلك: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، بل إن الإنسان نفسه وعقله وتفكيره كله من خلق الله ﷻ.

فحقيقةُ الأمر أن كل ما توصلت إليه البشرية في كل المجالات من فكرٍ وعلومٍ؛ هي من خلق الله وفضله على عباده ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. فالحمد لله على نعمه، ونسأله المزيد من فضله.

الحديث السابع:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله ﷺ: "يأتي الشيطانُ أحدَكُم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بَلَغَهُ، فليستعِذ بالله، وليَنْتَهِ".

وفي رواية: "فإذا أحس أحدكم بشيءٍ من ذلك، فليقل: آمنتُ بالله وبرسله".

قد وقع كما أخبر ﷺ؛ فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يُلْقُون هذه الشُبه التي هي أبطلُ الشُبه.

وهذا سؤالٌ فاسدٌ من أساسِه؛ لأن الخالق لا يُمكِن أن يكون مخلوقًا. ثم إننا لو سلمنا بهذا فهذا يلزَمُ مِنه التسلسل، فلو أجبنا عن سؤال: من خلق الله؟ بأنه: خالقٌ آخر، سيرد نفس السؤال على الخالق الآخر فيُقال: من خلقه؟ وهكذا إلى ما لا نهاية له؛ فيلزم من هذا نفي الخالق.

- **كيف نتعامل مع سؤال "من خلق الله؟":**

فسؤال "من خلق الله؟" فاسدٌ من أصلِهِ، وأصُلُه ومصدرُه من الشيطان، وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفعِ هذا السؤال بأمورٍ ثلاثة: "فليستعِذ بالله، وليَنْتَهِ"، و"ليقُل آمنتُ بالله، ورُسُله".

١) **الأمرُ الأول: الانتهاءُ**: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدًا تنتهي إليه ولا تتجاوزه، وقد تتسلسل الأفكار حتى تنتهي إلى الله، فإذا وصلت له وقفت وانتهت؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء.

٢) **الأمر الثاني: التعوّذ بالله من الشيطان**: فإن هذا من وساوسه، وإلقائه في القلوب؛ ليُشَكِّك الناس في الإيمان بربهم.

٣) الأمرُ الثالث: أن يدفعه بما يُضاده من الإيمان بالله ورسله: فإن الله ورُسُله اخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرّد بالوحدانية وبالخَلْق، فهذا الإيمان اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشُبه المنافية له.

فبالانتهاء: قطعُ الشر مباشرةً، وإبطالُ التسلسلِ الباطل. **وبالاستعاذة:** قطعُ السبب الداعي إلى الشر وهو الشيطان. **وبالإيمان:** اللجوء والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض.

وهذه الأمور الثلاثة هي جِماعُ الأسباب الدافعة لكل شُبهة تعارض الإيمان.

الحديث الثامن:

عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه–، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمسِ كلماتٍ، فقال: "إن الله عزَّ وجلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسْطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

هذا حديثٌ عظيمٌ جليلٌ، فيه كثيرٌ من معاني عظمة الله تعالى، وقيَّوميَّتِهِ على خلقه.

قوله –رضي الله عنه– "قام فينا رسولُ الله ﷺ بخمسِ كلماتٍ" لفظ الكلمة عندما يرِد في الكتاب والسنة وكلام العرب فالمراد به الجُملة التامة خلافًا للنحاة.

– قوله ﷺ: "إن الله عزَّ وجلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام" وهذا من تمام حياته، وقيَّوميَّتِه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾، فلا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، والنوم أخو الموت، والله تعالى حيٌ كامل الحياة.

فلا تعتريه «**سِنة**» **أي نُعاس وهو مقدمة النوم**، «ولا نوم»؛ لأن هذا نقصٌ لا يليق بالله تعالى؛ لأن النوم غفلةٌ وراحة من التعب، والله تعالى منزهٌ عن ذلك.

- قوله ﷺ "يخفض القِسْطَ ويرفعه" **والقِسْط هو الميزان، والمرادُ به الشيء الموزون**، فالله تعالى يخفِضُ الميزان، ويرفعه بما يوزنُ من أرزاق العباد النازلة من عنده، وأعمالهم المرتفعة إليه.

فيَخفِض الميزان تارةً بتَقتير الرزق، والخذلان بالمعصية، ويرفعه تارةً بتوسيع الرزق، والتوفيق للطاعة، عدلًا وحكمةً كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. فالله تعالى يحْكُم في خلقِه بميزانِ العدل، فمن عمل ما يستحق الرفع رفعه، ومن عمل ما يستحق الخفض خفضه.

وقيل: **القِسْط هو الرزق**، والمعنى يخفض الرزق بتضييقه ويرفع بتوسيعه.

وقيل: **القِسْط هو العدل ويراد به الشرائع والأحكام**، فيرفعه ويظهره بوجود الأنبياء وأتباعهم العاملين به، ويخفضه ويخفيه برجوع الناس عنها.

- وقوله ﷺ عن الله تعالى: "يخفض القِسْطَ، ويرفعه" مناسبٌ لقوله: "ولا ينبغي له أن ينام"؛ إذ كيف يُجوّز عليه ذلك، وهو الذي يتصرف أبدًا في مُلكه بميزان العدل؟! وهذا المشهد يُسميه العلماء: مشهد القيُّوميَّة، الجامع لصفات الأفعال، وهو من أرفع مشاهد العلماء الربانيين، وهو مشهدٌ من مشاهد الربوبية.

- قوله ﷺ: "يُرْفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل"، وفي رفع الأعمال إشارةٌ إلى عُلوِّ الله تعالى.

- **أنواع رفع الأعمال وعرضها:**

دلّت النصوص الشرعية على أن رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى ثلاثة أنواع:

١) **النوع الأول: الرّفع اليومي**: في كل يوم مرتين: مرَّة بالليل ومرَّة بالنهار، فالملائكة تصعد بأعمال الليل في آخره في أول النهار، وتصعد بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل، فمن كان في طاعة؛ بورك له في رزقه وعمله.

٢) **النوع الثاني: العرض الأسبوعي**: فتُعرض الأعمال كل أسبوع مرتين، يوميّ الاثنين والخميس.

٣) **النوع الثالث: العرض السنوي**: فتُرفَع أعمال العام كله جملة واحدة في شهر شعبان.

"وإذا انقضى الأجل، رُفِع عملُ العمرِ كلِّه، وطويَت صحيفة العمل". ويُستحب الإكثارُ من الطاعات في أوقات الرفع والعرض.

- قوله ﷺ: "حجابُه النور" وفي رواية "النار"، **النور من أفعاله**؛ فهو الذي يُنَوِّر السماوات والأرض ومن فيهن، وبنورِه يهتدي أهلُها، **والنور أيضًا من أوصافه**؛ فهو سبحانه وتعالى بذاته نور، وقد احتجب سبحانه وتعالى عن خلقه بالنور أو النار؛ لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشُعاعهما.

فهذا الحجاب الذي هو النور مخلوق، وهو الذي رآه النبي ﷺ ليلة المعراج. أما نور وجهه وذاته سبحانه وتعالى: فهو من أوصافه، وصفاتُهُ غَيرُ مخلوقةٍ.

- قوله ﷺ: "لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"، **معنى «سُبحات وجهه»: نوره وجلاله وبهاؤه**. وبصره سبحانه محيطٌ بجميع المخلوقات، فلو كشف هذا الحجاب وتجلّى لخلقه؛ لأحرق نورُ وجهه وجلاله جميع مخلوقاته. "فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم، وعظمته، وكبريائه، وكماله وجلاله؟!".

الحديث التاسع:

عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما رَوَى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه، فاستهدوني أهدِكُم. يا عبادي، كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه؛ فاستطعموني أُطعمكُم. يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسُكُم. يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل، والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ فاستغفروني أغفِر لكم.يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضُرُّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أوَّلكم، وآخركم وإنسكم وجِنَّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم؛ ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم، وآخركم وإنسكم، وجِنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم وجِنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي، إلا

كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أوَفِّيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه".

هذا حديثٌ عظيمٌ جليلٌ، شريفُ القدر، فيه من عظمة الله وجلاله وكماله، ما ينبغي على كل مسلم تأمله وتدبره.

- قوله: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي" يعني أن الله -سبحانه وتعالى- منع نفسه من الظلم لعباده، فالله تعالى مقدَّسٌ ومنزَّهٌ عن الظلم. وقد أتفق أهل الأرض والسماوات على أن الله تعالى عدلٌ، حتى المشركون حتى إنهم ليدخلون النار وهم معترفون بعدلِه.

الله -سبحانه وتعالى- أقام السماوات والأرض على أساس الحق والعدل. كلماتُه كلها عدل. وأحكامه حقٌ وعدلٌ، وشريعته كلها عدلٌ وسماحةٌ، وحكمةٌ ومصلحةٌ. وأمره ونهيه عدل. ويوم القيامة يجمع الله عباده ويفصل بَينهم بالحكم العادل.

- قوله: "وجعلته بينكم مُحرمًا؛ فلا تظالموا" لما حرَّم الله تعالى الظلم على نفسه، حرّم على عباده أن يتظالموا؛ أي يظلم بعضهم بعضًا.

- **والظلم نوعان:**

١) **ظلم الإنسان نفسَهُ** بالذنوب والمعاصي على اختلاف أنواعها، وأعظمُه الشرك.

٢) **ظلم العبد غيره**، وهو المذكور في هذا الحديث.

- قوله: "يا عبادي، كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدِكُم. يا عبادي، كلكم جائعٌ إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أُطعِمكم. يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسُوني أكْسُكُم. يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفِرُ الذنوب جميعا؛ فاستغفروني أغفِرْ لكم" بيَّن الله -سبحانه وتعالى- أن جميع الخلق مفتقِرون إليه في جلبِ مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم. وأن العباد لا يملِكون لأنفسهم شيئًا من ذلك كله، وهو يرجع إلى معنى: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وأن من لم يتفضَّلِ اللهُ عليه بالهدى والرزق؛ فإنه يُحرَمُهُما في الدنيا، ومن لم يتفضَّلِ اللهُ عليه بمغفرة ذنوبه؛

أَوبَقَتْهُ خطاياه في الآخرة، فخزائن الأشياء كلها بيد الله، وهذا يُوجِب من العباد أن يُفردوه سبحانه بالعبادة وأن لا يسألوا أحدًا غيره.

- في قوله: "فاستهدوني أهدكم"، "فاستطعموني أُطعِمكُم"، "فاستكسوني أكسُكُم"، "فاستغفروني أغفِرْ لكم" دليلٌ على أن الله تعالى يُحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم.

- وقوله تعالى: "يا عبادي، كلكم ضالٌ إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم" كرر قوله: "يا عبادي"؛ للتنبيه على فخامته، وأن من مقتضى عبودية العباد الافتقار إلى مُراعاةِ حقِّ الرُّبوبيَّة. ودَلَّ هذا على أن الشأن في الناس الضلال إلا من هَدَى الله، فالإنسان إذا رأى عنده آثار هُدَى فليعلم أن ذلك من عند الله وليشكُره.

- وقوله تعالى: "يا عبادي، كلكم جائِعٌ إلا من أطعمتُهُ فاستطعِموني أُطعِمكُم". فالله سبحانه خلق الخلق ذوي فقرٍ إلى الطعام، وساق لهم الأطعمة وهيء لهم آلاتِ استطعامها. وكأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري، فكل هؤلاء الذين تطلبون منهم انا أُطعِمهُم.

- وقوله تعالى: "يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسُوني أكْسُكُم": فالكل محتاجٌ إلى ستر عورته، والله تعالى هو الذي يكسو، فاطلبوا من الله الكساءَ الجميلَ الطاهرَ.

- وقوله تعالى: "يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفِرُ الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفِرْ لكم": **ومعنى الاستغفار طلب المغفرة**، والعبد أحوجُ شيءٍ إلى ذلك؛ لأنه يُخطئ بالليل والنهار. وتأمّل كيف ذكر لفظ "الذنوب جميعًا" قبل أن يأمرنا باستغفاره؛ حتى لا يقنط أحد من رحمة الله، لعظيمِ ذنبٍ ارتكبه.

- قوله: "يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني". يعني: أن الله تعالى في نفسه غنيٌّ حميدٌ، لا حاجة له بطاعات العباد، ولا يعود نفعها إليه، وإنما هم ينتفعون بها، ولا يتضرر بمعاصيهم، وإنما هم يتضررون بها. وهذه الجُملة من الحديث جاءت بعد ما قبلها إشارةٌ إلى أن الله يغفر

ذنوب العباد ويهديهم ويطعمهم ويكسوهم لا لجلب منفعة منهم أو دفع مضرَّة، بل هو سبحانه الغنيُّ الحميدُ بيده مقاليدُ الأمور.

- قوله: "يا عبادي، لو أن أوَّلكم، وآخركم وإنسكم وجِنَّكم، كانوا على أتقى قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُم؛ ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أوَّلكم، وآخركم وإنسكم، وجِنَّكم، كانوا على أفجر قلبِ رجُلٍ واحدٍ؛ ما نقص ذلك من مُلكي شيئًا" المعنى أن مُلك الله تعالى لا يزيد بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررةً أتقياء، قلوبهم على قلب أتقى رجُلٍ منهم، ولا ينقص مُلكه بمعصية العاصين، ولو كان الجن والإنس كلهم، عصاةً فجرةً، قلوبهم على قلب أفجر رجُلٍ منهم، فدَلَّ على أن مُلْكَه كاملٌ على أيِّ وجهٍ كان.

- وفي قوله: "على أتقى قلب رجُلٍ واحد منكُم"، وقوله: "على أفجر قلبِ رجُلٍ واحد" دليلٌ على أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، وأن الجوارح تابعةٌ له.

- قوله: "يا عبادي، لو أن أوَّلكم، وآخركم، وإنسكم وجِنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسانٍ مسألتَهُ؛ ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقُص المخيطُ إذا أُدخِل البحر" والمقصود بهذا: ذِكْرُ كمال قدرته -سبحانه وتعالى-، وكمال مُلكِه، وأن مُلكَه وخزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالعطاء. وفي ذلك حثٌّ للخلقِ على سؤاله.

- وقوله: "ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقُص المخيط إذا أُدخِل البحر": هذا تَقريبٌ إلى الأفهام، ومعناه: لا ينقص شيئا أصلًا، فإن البحر إذا غُمِس فيه إبرة ثم أُخرجت؛ لم ينقص من البحر بذلك شيءٌ.

- قوله: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أُوَفِّيكُم إياها": كان من تمام حكمة الله تعالى، وحُجَّتِه على خلقه: أنه أحصى عليهم أعمالهم؛ فهو سبحانه وتعالى الحسيب الحفيظ، وأمر ملائكته بكتابة أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَٰفِظِينَ ۝ كِراماً كَٰتِبِينَ ۝ يَعلَمُونَ مَا تَفعَلُونَ﴾، ثم يُعطيهم جزاء أعمالهم وافيًا يوم القيامة.

- قوله: "فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه". في هذا إشارة إلى أن الخير كله من الله فضلٌ منه على عبده، من غير استحقاقٍ له، والشر كله من عند ابن آدم، من اتباع هوى نفسه. وفي الدنيا المسلم مأمورٌ بحمد الله على نعمه، ولومِ نفسه على عاقبةِ ذنوبه. وفي الآخرة من وجد خيرًا يَحْمَدُ الله، ومن وجد غير ذلك يلومُ نفسه.

الحديث العاشر:

عن سُهيل بن أبي صالح، قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحدُنا أن ينام، أن يَضْطَجِع على شقه الأيمن، ثم يقول: "اللهم ربَّ السماوات، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم، رَبَّنا وربَّ كل شيء، فالق الحب، والنوى، ومُنْزِلَ التوراة والإنجيل، والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيءٍ أنت آخذٌ بناصيته. اللهم أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدّين، واغننا من الفقر".

هذا الدعاء، والذكر، واحدٌ من الأدعية والأذكار الكثيرة التي تُقال عند النوم، وهو دعاءٌ عظيمٌ، يُحْسُنُ بالمسلم أن يحافظ عليه كل ليلة عندما يأوي إلى فراشه.

- بدأ بقوله: "اللهم ربَّ السماوات، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم" لِعظم هذه المخلوقات، وما فيها من الآيات البينات. وقال بعده: "رَبَّنا وربَّ كل شيء" فهو تعميمٌ بعد تخصيص، لئلا يُظَن أن الأمر مختصٌ بما ذُكِر.

- ثم عقبه بمظهر من مظاهر الربوبية والخلق؛ فقال: "فالق الحب، والنّوى"، وهو من **الفلق أي الشق، أي الذي يشق حبةَ الطعام، ونوى التمر وغيره؛ لتخرج الأشجار والزروع.**

- ثم عقب ذلك كله بقوله: "ومُنْزِلَ التوراة والإنجيل والفرقان"؛ إشارةٌ إلى أنه لا يمكن إخراج الأشياء من العدم إلى فضاءِ الوجود إلا بتعلّم، وتعبُّد، ولا يحصل ذلك إلا بكتابٍ يُنَزِّله، ورسول يَبعثُه.

وخصَّ هذه الكُتب بالذكر؛ لأنها أعظم كُتبِ الله المنزَّلة. وتأمل كيف قال في المخلوقات "ربَّ" وفي هذه الكتب "ومُنْزِل"؛ ففي هذا دلالةٌ على أن كلام الله غيرُ مخلوقٍ.

- وقوله: "أعوذ بك من شر كل شيءٍ أنت آخذٌ بناصيته" فتوسّل النبي ﷺ إلى الله بما سبق أن يُعيذَهُ من شرِّ كل المخلوقات؛ لأنها كلها في سُلطانِه، وهو آخذٌ بنواصيها، **والناصيةُ مقدّم الرأس**، ومن أخذ بناصية أحد فقد قهره، وقدر عليه غاية القدرة.

- وقوله ﷺ: "اللهم أنت الأوَّلُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونك شيء" هذه الأسماء "الأول، الآخر، الظاهر، الباطن" تدل على تفرّد الربّ العظيم بالكمال المطلق، والإحاطةِ الزمانيةِ في قوله: "الأول، الآخر"، والإحاطة المكانية في قوله: "الظاهر، الباطن".

- "**فالأوَّل**" يدُل على أن كل ما سواه حادثٌ كائنٌ بعدَ أنْ لمْ يكُن، ويوجِب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة.
- و"**الآخر**" يدُل على أنه الغاية، والصمد الذي تصمُد إليه المخلوقات بجميع مطالبها.
- و"**الظاهر**" يدلّ على علوّه وعظمة صفاته واضمحلال كل الذوات عندها.
- و"**الباطن**" يدلُّ على اطّلاعه على السّرائر، وعلى كمال قُربِه ودنوِّه.

ولا منافاة بين الظاهر والباطن، لأن الله ليس كمثله شيءٌ في الصفات، فهو القريب في علوّه، العليّ في دنوه.

- ثم سأل النبي ﷺ ربه "اقضِ عنا الدّين، واغننا من الفقر" و"اقض عنا الدين" أي أعنا على أداء حقوق الله، وحقوق العباد من جميع الأنواع، وفي هذا إقرار الإنسان أنه لا حول ولا قوة إلا بالله. و"اغننا من الفقر": أي الاحتياج إلى المخلوق، أو من الفقر القلبي.

- **والغنى ثلاثةُ أقسام:**

١) **غنى النفس** وهو المطلوب المرغوب المحبوب.

٢) **الغنى بالله تعالى**.

٣) **الغنى بالمال**، وهو موضِع خلافٍ.

وقد ذُكر أن الافتقار لله يوجب الغنى به؛ فهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بتمام الأُخرى.

الحديث الحادي عشر:

"يَطْوِي اللهُ ﷻ السماواتِ يومَ القيامةِ، ثم يَأْخُذُهُنَّ بيدِه اليُمْنَى، ثم يقولُ: أنا المِلِكُ أين الجَبَّارُونَ ؟ أين المتَكَبِّرُونَ؟ ثم يَطْوِي الْأَرَضِينَ بشمالِه، ثم يقولُ: أنا المِلِكُ، أين الجَبَّارُونَ؟ أين المتَكَبِّرُونَ؟".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يقبِضُ الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟".

هذا الحديث يبين شيء من عظمة الله ﷻ وقدرته، وخضوع المخلوقات له، وهو دليلٌ على ربوبيته ووحدانيته واستحقاقه للعبادةِ وحدَهُ. وقد رُوي أن النبي ﷺ ذكر هذا الحديث على المنبر فتحرك المنبر من تحته؛ حتى ظن الصحابة أنه ساقِطٌ برسول الله ﷺ.

- قوله ﷺ "يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى" «**الطي**» **ضِدُّ النَّشْر، وهو ضم الشيء بعضه على بعض**، ونؤمن بأن هذا طي حقيقي كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فيطوي اللهُ السماوات على عِظَمِها كما تُطوى الصحيفة.

اليدان ثابتتان لله تعالى، قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، وتنوعت النصوص في إثبات اليدين لله تعالى والأصابع لهما والقبض بهما وتثنيتهما، وأن إحداهما يمين والأخرى شمال، فنثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، ونُجري نصوص الصفات على ظاهرها، من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيلٍ ولا تأويلٍ، ولا نقول: إن المراد بـ «اليد» القدرة، والمراد بـ «الطي»، و المراد بـ «القبض» التسخير والقهر، فهذا من التأويل المذموم.

- "ثم يقول: أنا الملك" يقول ذلك ثناء على نفسه ﷻ، وتنبيهًا على عظمته الكاملة، وعلى مُلكه الكامل. و"أنا" معرفة، و"الملك" معرفة، وإذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة، فإن ذلك من طُرق الحصر، أي: أنا الذي لي المِلكية المطلقة والسلطان التام، لا يُنازعني فيهما أحد.

فإن قيل: أليس الله هو المِلِكُ في الدنيا والآخرة؟ **فالجواب**: بلى، لكن في الآخرة لا يُنازعه أحدٌ، كما قال في سورة الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهنا كلامُ ابن كثيرٍ رحمه الله باختصار: "تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه ﴿ربّ العالمين﴾، وذلك عامٌ في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى ﴿يوم الدين﴾ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا".

- وقوله تعالى: "أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟": "الجبارون" **أي الظلمة، المتعالون على الناس بالظلم**. "والمتكبرون" **أي يتعالون ظُلمًا على الناس وعلى الحق**، كما في الحديث "الكبر بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ الناس" «**بطر الحق**»: **دفعه وإنكاره**، و «**غمط الناس**»: **احتقارهم**، والاستفهام للتحدي. و"يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان"، أي يكونون في غاية المذلة.

- وقوله ﷺ: "ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟": اختلف الرواة في لفظة بشماله فمنهم من أثبتها، ومنهم من قال بيده الأخرى؛ فأجمع أهل السنة والجماعة على أن لله ﷻ يدين، وأن إحدى يديه يمين، واختلفوا هل الأخرى شمال أم كلتاهما يمين.

وقول الشيخ بن عثيمين رحمه الله باختصار: "إذا كانت لفظة شمال محفوظة؛ فهي عندي لا تنافي كلتا يديه يمين؛ لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كاليدِ الشمال بالنسبة للمخلوق، ناقصةً عن اليد اليمنى؛ والواجب علينا أن نقول إن ثبتت عن الرسول ﷺ فنحن نؤمن بها، ولا منافاة، وإن لم تثبت فلن نقول بها".

- وقوله ﷺ في الحديث الآخر: "يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه": **الفرق بين "القبض" و "الطي": أن «القبض»: أخذ الشيء باليد وجمعه، و «الطي»: ملاقاة الشيء بعضه على بعض، وهو قريبٌ من القبض.**

وهذا من صفات الله الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته، وهي ثابتةٌ بآياتٍ كثيرة وأحاديث صحيحة، والإيمان بها واجبٌ وداخلٌ في الإيمان بالله تعالى، ويحرُم تأويلها المخرج للمعنى عن ظاهرها، وقد دل

العقل أيضًا على ثبوتها لله تعالى فهو ﷻ فعَّالٌ لما يريد، فمن أنكر قيام الأفعال الاختيارية به؛ فإنه بذلك يُنكِر خلقه لهذا العالم.

- وقوله: "ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض" أي: أنه تعالى ينفرد بالملك حقا بدون منازع، وفي ذلك اليوم يُنادِي الذين كانوا ينازِعونَه في الدنيا ملكَهُ توبيخًا وتهديدًا لهم.

الحديث الثاني عشر:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثَّرَى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقا لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾".

«الحبر» هو العالِم وهو من اليهود، ووقوله: "إنّا نجد" يعني في التوراة.

وهذا الحديث يدل على عظمة الله وقدرته، وقد تعرَّف ﷻ إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، بما يدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده.

ودلَّ الحديث على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله، بلا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ، ودل على هذا الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة.

ولم يقل النبي ﷺ: إن ظاهر صفات الله غير مراد، أو إنها تشبيهٌ لصفات الله بصفات خلقه، فلو كان حقا لبلَّغه ﷺ. وتلقى الصحابة عن نبيهم صفات ربهم فآمنوا بها، وكذلك فعل أئمةُ المسلمين، وأنكروا على من قال إن ظاهرها غير مراد غاية الإنكار.

فنثبت لله تعالى الأصابع على الوجه الذي يليق به ﷻ، من غير تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيل، والإصبع إصبعٌ حقيقيٌ، يليق بالله ﷻ، كاليد. وليس المراد بقوله "على إصبع" سهولة التصرف.

الحديث الثالث عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "إذا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ في السَّماءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأَجْنِحَتِها خُضْعانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٍ علَى صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِمْ، قالوا: ماذا قالَ رَبُّكُمْ؟ قالُوا لِلَّذِي قالَ: الحَقَّ وهو العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُها مُسْتَرِقُ السَّمْعِ -ومُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذا، بَعْضُه فَوْقَ بَعْضٍ...". الحديث.

هذا الحديث فيه بيانٌ لعظمة كلام الله، فإنه تعالى إذا تكلم بالوحي، أُرعِد أهل السماوات من الهيبة.

وجاء في حديث النبي ﷺ: "ربّنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرًا سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه -أي يخلطون فيه الكذب- ويزيدون". فالجن يسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته وهكذا حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما يُحرق قبل أن يلقيها وربما يلقيها فيكذب معها مئة كذبة.

وقوله: "ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان": فتضرب الملائكة بأجنحتها خُضوعًا لقوله ﷻ فوقْع صوت القول على قلوبهم كصوت السلسلة على حجر أملس صلب، وليس المراد تشبيه صوت الله تعالى بهذا؛ بل المراد تشبيه ما يحصل لهم من فزع.

وقوله: "فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحَقَّ وهو العلي الكبير": فإذا أُزيل الفزع عن قلوب الملائكة، قال بعضهم لبعض: "ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقَّ"، أي: قال القول الحَقّ، وقولهم هذا يُحتمل أن يكونوا علموا ما قال أو أنهم قالوا ذلك لعلمهم أنه ﷻ لا يقول إلا الحَقّ.

فالله ﷻ هو ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، العلي في ذاته وقدره وقهره لجميع المخلوقات، والكبير في ذاته وصفاته.

وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو: أن له من كل صفات الجلال والكبرياء والعظمة أكملها وأجلَّها.

ومن كبريائه أن العبادات كلها مقصِدُها تكبيره وإجلاله.

الحديث الرابع عشر:

عن أبي سعيدٍ الخدري، وأبي هريرة، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: "الْعِزُّ إزارُهُ، والْكِبْرِياءُ رِداؤُهُ، فمَن يُنازِعُنِي عَذَّبْتُهُ"، وفي رواية: "الكبرياءُ رِدائي، والعَظَمَةُ إزائي، فَمَن نازَعَني واحِدًا مِنْهُما، قَذَفْتُهُ في النَّارِ".

فالله ﷻ له صفات العظمة والعِزَّة والكبرياء، كما قال ﷻ: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، نُثبتها له ﷻ ونؤمن بها كما جاءت من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيلٍ.

ليس معنى الحديث أن لله إزارًا ورداءً من جنس ما يلبسه البشر، بل الحديث نفيٌ لهذا المعنى الفاسد.

و«**الكبرياء**» **العظمة والجلال والمجد، ومن أسمائه ﷻ المتكبر والكبير**.

وكلام ابن تيمية رحمه الله باختصار: "والكبرياء أعلى من العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الإزار. ولهذا فالتكبير مشروعٌ في المواضع الكِبار ومستحب في الأمكنة العالية، ليبين أن الله أكبر، ويستولى كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكِبار، فيكون الدين كله لله".

فالكبرياء لله وحده ﷻ، لذا من عقابه ﷻ للمتكبرين كما جاء في الحديث: "يُحشَرُ المتَكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ يغشاهمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكانٍ".

الحديث الخامس عشر:

عن عُبيد بن رفاعة الزراقي، عن أبيه، قال: لَمّا كان يومُ أُحدٍ وانْكَفَأَ المشركونَ، قال رسول الله ﷺ: "استَوُوا حتى أُثنِيَ على ربي" فصاروا خلفه صفوفا، فقال: "اللهم لك الحمدُ كلُّه، اللهم لا قابضَ لما بسطتَ، ولا باسِطَ لِما قَبضتَ، ولا هاديَ لمن أضللتَ، ولا مُضِلَّ لِمن هديتَ، ولا مُعطِيَ لما منعْتَ، و لا مانعَ لما أَعطيتَ، ولا مُقَرِّبَ لما باعدتَ، ولا مُباعِدَ لما قرَّبتَ، اللهم ابسُطْ

علينا من بركاتِك و رحمتِك و فضـلِك و رزقِك، اللهم إني أسـألُك النَّعيمَ المقيمَ، الذي لا يحُولُ و لا يزولُ، اللهم إني أسـألُك النَّعيمَ يومَ العَيْلَةِ، و الأمنَ يومَ الخوفِ، اللهم إني عائذٌ بك من شـرِّ ما أَعطِيتنا، و شـرِّ ما منَعْت، اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه في قلوبِنا، وكَرِّه إلينا الكفرَ، والفسـوقَ، والعصيانَ، واجعلْنا من الراشدين، اللهم توفَّنا مسلمِين، وأحْيِنا مسلمِين، وألحِقْنا بالصالحين، غيرَ خزايا و لا مفتونين، اللهم قاتِلِ الكفرةَ الذين يُكذِبون رُسُلَك، ويصدُّون عن سبيلِك، واجعلْ عليهم رِجزَك و عذابَك، اللهم قاتِلِ الكفرةَ الذين أُوتوا الكتابَ، إلهَ الحقِّ".

هذا ثناءٌ على الله ﷻ وتوسلٌ ببعض صفاته العظيمة، فالله كاملٌ في صفاته وله القدرة الكاملة، وجاء الطلب من خيري الدنيا والآخرة بعد الثناء والتوسل.

- وقوله: "النعيم المقيم" **هو نعيم الآخرة.**

- وقوله: "النعيم يوم العَيْلَة" **أي وقت الحاجة وأن يُغنيه به عمن سواه.**

- وقوله: "والأمن يوم الخوف" **أي أسألُك الأمان إذا حل الفزع في حربٍ أو غيرها.**

واستعاذ الرسول ﷺ بالله من شر ما يُعطاه أن يكون سببًا في ضلاله، ومن شر ما منعه؛ فقد يؤدي المنع إلى الكفر أو الحسد أو الظلم أو السخط.

- ثم قال "اللهم حبب إلينا الإيمان"؛ فإذا حبب الله الى شخص الإيمان أقبل على الأعمال الصالحة وكره الخروج عن الطاعة.

- وقوله: "واجعلنا من الراشدين" أي: اجعلنا **مُستقيمين في أعمالنا على طاعتك.**

ثم سأل حُسن الخاتمة والثبات على الدين حتى الممات.

- وقوله "غير خزايا ولا مفتونين" أي: **لا تُذِلَّني بمعصيتك**، ولا واقعين في الفتنة الدينية والعذاب.

ثم دعا على المشركين، الذين يقاتلون رسوله ويصدون عن سبيله، ودعا أن يجعل عليهم رِجزه، و«**الرجزُ**» **شدّةُ العذاب.**

- ثم ختم ﷺ باسمين من أسمائه ﷻ: "إله الحق"، والتقدير: الإله الحق، **والإله: المستحق أن يُؤلَّه أي يُفرد بالعبادة، والحق: كل معبود دونه باطل، وكل شيء ينسب إليه فهو حق.**

الحديث السادس عشر:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "لو أن اللهَ عذَّب أهلَ سماواتِه، وأهلَ أرضِه؛ عذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رَحِمَهم؛ كانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالِهم، ولو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ، ما قَبِلَه اللهُ منك حتى تُؤْمِنَ بالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أن ما أصابَك لم يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وأن ما أخطأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَك، ولو متَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النارَ".

فالله ﷻ مُنزَّه عن الظلم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يفعلُ ما يشاء ولا يُسأل، ومهما فعل فعدلٌ.

يقول الجبرية من أهل البدع: أنه ﷻ يتصرف في مُلكِه كيف يشاء بلا حكمة، **لكن الصحيح**: أنه ﷻ إذا عذّب فإنه يُعذّب عدلًا منه وحكمةً، وبيان ذلك أن العباد لا يقومون مهما فعلوا بحقِّ عبوديته، فلو أن الله ﷻ عذبهم على ترك شكر نعمِه وترك أداء حقِّه الذي ينبغي له؛ عذبهم وهو غيرُ ظالمٍ لأنهم يستحقون العذاب، لكنه ﷻ يعفو ويغفر ويتجاوز.

ولو رحمهم، فرحمته ﷻ أوسع من أعمالهم وخيرٌ منها؛ لأن رحمة الله تُنَجي العبد وعمله لا ينجيه، فالأعمالُ ليست مُقابلةً للجنة لكنها سببٌ في دخول الجنة برحمته ﷻ وهذا ينطبق حتى على الأنبياء عليهم السلام.

فقولُ عيسى بن مريم: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ليس معناها أن يُعذبهم بمحض مشيئته المجردة -كما يقول الجبرية- لكن هذا من كمال أدب عيسى عليه السلام مع الله، **والمعنى**: أن شأن السيد رحمةُ عبيده، فلولا أنهم عبيدُ سوءٍ عصاة لم تُعذبهم، فإن عذبتَهم عذبتهم على علمٍ منك بما تُعذبهم عليه، ولم يقل "الغفور الرحيم"، فهذا من أبلغ الأدب مع الله في وقت غضبه عليهم، فليس هو مقامُ استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءةٍ منهم، وموافقة للربِّ في غضبه على من غضب عليهم.

والإيمانُ بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، ولا يَتِّمُ إيمان العبد ولا يُقبل منه عملٌ إلا بها، وهو: **"تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته"**.

ويجب الإيمان بمراتب القدر الأربعة: العلم والكتابة والمشيئة والخلق؛ فنؤمن أنه سبحانه علم وكتب كل شيءٍ قبل كونه، وأنه أراد وخلق كل شيء.

- وقوله ﷺ: "وتعلَم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك" فالعبد إذا علم أن الله وحده هو من بيده الضُّر والنفع والعطاء والمنع فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ﷻ وإفرادُه بالطاعة والخوف والرجاء والمحبة والاستعانة.

- وقوله ﷺ: "ولو مُتَّ على غير هذا لدخلت النار" فهذا جَزمٌ أن من مات مُنكِرًا للقدر كان كافرًا مُكذبًا للقرآن ومن أهل النار.

الحديث السابع عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "يدُ اللهِ ملْأَى لا يُغِيضُها نَفَقَةٌ، سحَّاءُ اللَّيْلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفَقَ منذُ خلَقَ السمواتِ والأرضِ؟ فإِنَّهُ لم يَغِضْ ما في يدِهِ وكان عرْشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الميزانُ، يخفِضُ ويرْفَعُ".

وفي رواية أخرى: " يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى لا يَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ، أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ، فإنَّه لَمْ يَنْقُصْ ما في يَمِينِهِ، وعَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ -أوِ القَبْضُ- يَرْفَعُ ويَخْفِضُ".

في هذا الحديث بيانٌ لكمال مُلك الله، وجوده وإحسانه، وكمال قدرته، وأن مُلكَه لا ينفد ولا ينقص بالعطاء.

- قوله ﷺ: "ملْأَى" **يعني شديدةُ الامتلاء بالخير الكثير، وما لا نهاية له من الأرزاق.** "لا يغيضها" **أي لا ينقصُها.**

- قوله ﷺ: "سحاء الليل، والنهار" **أي دائمةُ العطاء، في الليل والنّهار.**

فيدُ الله سبحانه وتعالى ملأى سحَّاء دائما، تُعطي الليل والنّهار، ومع ذلك فإنه لم ينقص ما في يمينه. وفي الحديث: إثبات اليدين لله تعالى، على الوجه اللائق بجلاله، من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيلٍ.

- وقوله ﷺ: "أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يده" هذا تأكيدٌ للجملة السّابقة، وإيضاحٌ لكثرةِ نفقته تعالى.

- وقوله ﷺ: "وكان عرشُه على الماء" أي قبل خلق السّموات، والأرض.

- وقوله ﷺ: "الميزان" **هو العدل**؛ لأنه بالميزان يقع العدل.

فالله تعالى يحكم في خلقِهِ بميزان العدل، فمن عمل ما يستحقُ الرفع رفعَهُ، ومن عمل ما يستحق الخفض خفضه.

- وقوله ﷺ: "يخفِض ويرفَع" أي يخفض الميزان ويرفعه.

- وقيل: "الميزان" **هو القسمة بين الخلق**. فالميزان الذي يخفضه الله تعالى ويرفعه، هو الشيء الموزون.

- وقوله ﷺ في الرواية الأخرى: "وبيده الأخرى الفيض -أو القبض-، يرفع، ويخفض" قوله ﷺ: "الفيض أو القبض": «أو» هنا للشك من الراوي، وقيل للتنويع.

و«الفيض» هو فيضُ الإحسان بالعطاء، والرزق الواسع. و«القبض» قبض الأرواح بالموت. وقيل المنع؛ لأن الإعطاء قد ذُكِر في قوله قبل ذلك: "سحاء الليل، والنّهار"، فيكون المعنى بيد الله العطاء والمنع.

- وقوله ﷺ: "يرفع، ويخفض" أي يرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء.

فالحاصل أن: النبي ﷺ قد أخبر أن يد الله سبحانه وتعالى اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق، ويده الأخرى فيها العدل والميزان، الذي به يخفِض ويرفَع.

الحديث الثامن عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول قال ﷺ: "قالَ اللَّهُ تبارَك وتعالى كذَّبني ابنُ آدمَ ولم يَكن ينبغي لهُ ذلك، وشتَمني ولم يَكن له ذلك، فأمَّا تَكذيبُه إيَّايَ فقولُه لن يُعيدَني كما بدأني، وليسَ أوَّلُ الخلقِ بأهوَنَ عليَّ من إعادَتِهِ. وأمَّا شتمُه إيَّايَ فقولُه اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وأنا الأحدُ الصَّمدُ لم أَلِد ولم أولَد ولم يَكن لي كُفئًا أحدٌ".

اشتمل هذا الحديث على أصلين عظيمين من أصول التوحيد:

١) إثبات البعث بعد الموت.

٢) وأنّ الله تعالى واحدٌ، مُنزَّه عن الصاحبة، والولد.

وإنكارُ البعث يتضمن تكذيب الله تعالى فيما أخبر به على ألسنة رُسله وفي كتابه؛ ولذا قال تعالى: "كذبني ابن آدم، ولم يكُن له ذلك".

ونسبة الولد إلى الله تعالى شتمٌ له وتنَقُّصٌ، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيرًا؛ لأنه السيّدُ الصمدُ الغنيُّ، وجميع المخلوقات خاضعةٌ، مفتقِرةٌ له، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله خالق كل شيء، ولا شبيه له؛ ولذا قال سبحانه وتعالى: "وشتمني ولم يكُن له ذلك". ومع هذا الشتم والتنقُّص إلا أن الله تعالى حليمٌ على عباده، لا يُعاجلهم بالعقوبة.

ثم رد الله تعالى على هذا التكذيب والشتم:

١) فقال في الأول –وهو التكذيب–: "فأما تكذيبُه إياي، فقوله: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته". قال عزَّ وجلّ: ﴿قُل يُحيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ﴾. فرد الله تعالى عليهم بهذا الرد البسيط المقنع، وهذا الرد لا يمكن الاعتراض عليه؛ لأنّهم مؤمنون أن الله تعالى هو الذي خلقهم.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ﴾ هذا أيضًا دليلٌ ثانٍ من صفات الله تعالى، وهو أنّ علمَهُ تعالى مُحيطٌ بجميع مخلوقاته، فإذا أقرَّ العبدُ بهذا العِلم العظيم؛ علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم. فإنّ تَعذُر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه، أو قصور في قدرته، وكلاهما مُنزّه عنه سبحانه.

٢) **وقال في الثاني –وهو الشتم–**: "وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفئًا أحد": فهو سبحانه وتعالى الذي تصمد إليه جميع المخلوقات بالذل والافتقار، وهو الذي كَمُلَ في علمه وحكمته، وسائر صفاته، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله خالق كل شيء، ولا شبيه له، فكيف يكون له ولد؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرضِ إِن عِندَكُم مِّن سُلطَٰنِ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾، فهو الغني من كل وجه، والكل عبيدُه ومماليكه، فلأي شيءٍ يتخذ الولد؟ ولا يتخذ أحدٌ ولدًا إلا لنقصٍ في غناه.

والولد إنما يكون متولِدًا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مُشارِكٌ في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟!

فسُبحان الله العظيم، وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، لا إله إلا هو، الواحدُ الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

الحديث التاسع عشر:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: " لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلبابِ ۝ الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾".

سُئل الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلِق من الفكر فيهن وما يُنَجِيه من هذا الويل؟ فأطرق هُنيةً ثم قال: "يقرؤهنّ وهو يعقِلهُنّ".

وقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجدِه، وقال العلماء: "يُستحب للمستيقظ من نومه أن يتلو هذه الآيات؛ اقتداءً بالنبي ﷺ".

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾ **أي في إيجادهما، وإنشائهما على هذه الصفات، من الإبداع والإحكام.** ﴿وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ﴾ **أي تعاقُبهما، وتفاوتهما في الظلمة والنور، والطول والقصر، واختلافهما حرًا وبردًا، وغيرها.**

﴿لَآياتٍ﴾ واضحة وبراهين قاطعة على قدرته وربوبيته سبحانه وتعالى. ﴿لِأُولِي الأَلبابِ﴾ أي: **لأصحاب العقول الصافية النقية**؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

ثم ذكر اللهُ تعالى أن أولي الألباب يعبدونه في سائر أحوالهم؛ فقال: ﴿الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم﴾. ﴿وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾ استدلالًا واعتبارًا في صنعهما وإتقانهما، وما أبدع الله فيهما، فيقودهم هذا إلى تعظيم خالقهما.

- فقوله: ﴿يَذكُرونَ اللَّهَ﴾ إشارةٌ إلى **عبودية اللسان**. وقوله: ﴿قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم﴾ إشارةٌ إلى **عبودية الجوارح**. وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾ إشارةٌ إلى **عبودية القلب**.

فالآيةُ الأولى دالةٌ على كمال الربوبية، وهذه الآية دالة على كمال العبودية.

ويقول هؤلاء المؤمنون المتفكرون: ﴿رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا﴾ الذي نُشاهدِهُ في السماء والأرض ﴿باطِلًا﴾ أي عبثًا بلا حِكمة؛ بل خلقتَهُ لأمرٍ عظيم، ﴿سُبحانَكَ﴾ أي نُنزهك عن هذا العبث وعن كل عيبٍ ونقص، وتسبيحُهم فيه طلبُ توفيقٍ للعمل الصالح؛ ليهديهم في النهاية إلى الجنة، ويقيهم عذاب الجحيم؛ لذا قالوا: ﴿فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾.

الحديث العشرون:

عن زيدٍ بن خالد الجهني رضي الله عنه، أنه قال: صلَّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بالحُديبيَةِ على إثْرِ سماءٍ كانت مِن اللَّيلة فلمَّا انصرَف أقبَل على النَّاسِ فقال: "هل تَدرونَ ماذا قال ربُّكم؟" قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: "أصبَح مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه فذلك مؤمنٌ بي وكافرٌ بالكواكبِ، وأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي ومؤمنٌ بالكواكبِ".

استثمر رسول الله ﷺ حدث سقوط المطر في ترسيخ الجانب العقدي لدى أصحابه، وذكرهم بأن المطر من فعل الله تعالى وحده، وأنه سبحانه وتعالى المتَصرِف في هذا الكون لا شريك له.

- **أحوال نسبة المطر إلى النوء:**

فمن قال: "مُطِرنا بفضل الله، ورحمته"؛ فهو مؤمنٌ بالله، وكافرٌ بالكوكب، لا يعتقدُ له تأثيرًا.

ومن قال: "مُطِرنا بنوء كذا وكذا"، أي بسقوط أو طلوع نجم كذا وكذا، **فلا يخلُو من ثلاثةِ أحوالٍ مُتضمنةٍ لثلاثةِ أقسام من حيث نسبة المطر إلى النوء:**

١) **إما أن يعتقد أن للكوكب تصرُفًا في نزول المطر**: وأن الكوكب منشئ للمطر والسّحاب، فهذا نسبة إيجاد، وهو شِركٌ أكبر.

٢) **وإما أن يقول هذا، مُعتقدًا أن المطر من الله تعالى، وأن سقوط النّجم له وقتٌ وعلامةٌ**: فكأنّه قال: مُطرنا في وقت كذا؛ فهذا لا يكفر لكن هذا القول حرام، وقيل مكروهٌ؛ لنهي النبي ﷺ عنه؛ ولأنه من شعار الجاهلية، وهذا نسبة وقت.

وقال ابن عثيمين: "قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينها أن «الباء» للسببية، و «في» للظرفية".

٣) وإن قال هذا مُعتقدًا أن المطر من الله وهو خالقه، لكن النوء هو السبب: فهذا من الشرك الأصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا سببًا، وهذا نسبة سبب. والقاعدة أن: "كل من اعتقد سببًا لم يدّل عليه شرعٌ ولا قدَرٌ؛ فهو شِركٌ أصغر، وإن اعتقدَه الفاعل بذاته فهو شِركٌ أكبر".

وقول بعض الناس إذا أصابه شيءٌ: "هذا من سوء الطالع"، وإذا حصل له أمرٌ سار قال: "هذا من حسن الطالع"، **والطالع هو النجم**، فيحُرم استخدام هذه العبارات. هذا من التنجيم والتنجيم مُحرَّم؛ لقوله ﷺ: "من اقتبس عِلمًا من النجوم؛ اقتبس شُعبَةً من السحر، زاد ما زاد".

والتنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، وهذا يُسمى «علم التأثير».

أما الاستدلال بالنّجوم على الجهات والأوقات فهذا جائز، ويسمى «علم التيسير». وقد يكون واجِبًا إذا لم يُعرف أوقات الصلاةِ إلا به.

أما معرفةُ أحوال الطقس والبحث عنها، وأوقات الكسوف والخسوف، ونزول الأمطار، وتوقع ذلك فلا تدخُل في التنجيم، أو ادعاء علم الغيب؛ لأنّها تُبنى على أمور حسية.

فالمقصودُ من الحديث: أنه لا يتم توحيدُ العبد وكمالُ إيمانه حتى يعترف بتفرد الله تعالى بالنعم الظاهرة والباطنة عليه، وعلى جميع الخلق، ويضيفها إلى الله تعالى قولًا واعترافًا، ويعترف بتفرُدِه بدفع النقم، ويستعين بنعم الله تعالى على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الحديث الحادي والعشرين:

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله: يُؤذِيني ابنُ آدَمَ يسُبُّ الدَّهرَ وأنا الدَّهرُ بيدي الأمرُ أُقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ".

وفي لفظ مسلم: "قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ؛ يقولُ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فلا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فإنِّي أنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ ونَهارَهُ، فإذا شِئْتُ قَبَضْتُهُما".

رأسُ الأدب الأدب مع الله تعالى، ومن التأدب معه تعالى التأدب معه في الألفاظ، وهذا ما أرشد له هذا الحديث القدسي، بعدم سب الدهر.

فسبُّ الدهر فيه أذيةٌ لله تعالى، وسوءُ أدبٍ معه؛ لأنّ الله تعالى هو الذي يُقدِرُ الأمور، والدهر هو الزمان، ولا فعل له بل هو مخلوقٌ من مخلوقات الله.

- **مفاسد سب الدهر:**

يقولُ ابن القيم: في هذا ثلاثُ مفاسدَ عظيمة:

١) **سَبُّ من ليس بأهلٍ أن يُسَبَّ**؛ فإن الدهر من خلق الله، مُنقادٌ لأمره.

٢) **أن سبّهُ متضمنٌ للشرك**؛ فإنه إنما سبّه لظنِّه أنه يَضُر وينفَع.

٣) **أن السبّ منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال**، وهو الله سبحانه وتعالى.

- **فسابُّ الدهر دائرٌ بين أمرين، لا بد له من أحدهما:**

١. **إما سبه لله**، إن اعتقد أنّ الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله؛ فقد سب الله.

٢. **أو الشرك به**، إذا اعتقد أن الدهر فاعلٌ مع الله فهو مشركٌ.

- وقوله تعالى: "يؤذيني ابن آدم": أي يُلحِقُ بي الأذى، وهو خبرٌ يتضمن النهي والزجر. فالأذية لله ثابتة، وكيفيتها لا نعلمها، والله تعالى يتأذى من فعل بني آدم، لكنّه لا يضره شيءٌ سبحانه وتعالى وتقدَّس، فهي ليست كأذية المخلوق، فلا يلزم عنها ضرر.

- وقوله تعالى: "وأنا الدهر": **أي مُدَبِّر الدهر ومصرفه**. ففي الكلام حذفٌ تقديره: «وأنا مقلِّبُ الدهر»، كما يدُل عليه السياق؛ ولذا فسره بعده بقوله: "بيدي الأمر، أُقلب الليل والنّهار"، والليل والنهار هما الدهر. فليس «الدهر» من أسماء الله تعالى، ولا يُقال بأنّ الله هو الدهر نفسه، ومن قال ذلك؛ فقد جعل الخالق مخلوقًا.

أما قول البعض: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك؛ فهذا ليس من سب الدهر، وهذا كما قال لوط عليه السلام: ﴿هَذا يومٌ عَصِيب﴾.

الحديث الثاني والعشرون:

عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: "أتَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟" قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "فإنَّها تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ، فيُؤْذَنُ لَهَا، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فلا يُقْبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِهَا، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾".

وفي رواية لمسلم: "إنَّ هذِه تَجْرِي حتَّى تَنْتَهي إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، فلا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي حتَّى تَنْتَهي إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، ولا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْها شيئًا حتَّى تَنْتَهي إلى مُسْتَقَرِّها ذاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فيُقالُ لَها: ارْتَفِعِي أصْبِحِي طالِعَةً مِن مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَغْرِبِها، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أتَدْرُونَ مَتَى ذاكُمْ؟ ذاكَ حِينَ ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْرًا﴾".

فالكونُ كله خاضِعٌ لله تعالى ولعظمته، وهذه الشمس بحجمها الهائل تخضع لربها ذليلةً مُنقادةً، وتسجد تحت العرش كل ليلة، ولا تطلع من المشرق حتى تستأذن ربها.

- **المستقر المكاني للشمس:**

ومُستقرها المكاني تحت العرش، وهي أينما كانت فهي تحت العرش، وجميع المخلوقات كذلك؛ لأن العرش سقف المخلوقات، وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس. فالشمسُ إذا كانت في وقت الظهيرة، تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا كان منتصف الليل؛ صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذٍ تسجد وتستأذن في الطلوع.

- **المستقر الزماني للشمس:**

ومُستقرها الزماني كما في قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ كُلٌّ يَجرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي يجريان إلى انقطاعها بقيام الساعة، وهناك أقوالٌ أخرى.

ومن تأمل قليلاً عظمة الشمس، ثم شاهد بعين عقله فيها أثر صنع الله وإتقانه وحكمته؛ انتقل منها إلى عظمة خالقها، فسبحانه وتعالى ما أعظم شأنَهُ.

- **إشكالية سجود الشمس عند العقلانيين المعاصرين:**

وقد استنكر بعضُ العقلانيين المعاصرين هذا الحديث وقالوا: هذا الحديث يُخالف العقل؛ إذ كيف تسجد الشمس تحت العرش وتفارق الفلك، وهذا السجود يعوق دوراتها في سيرها؟!

والجواب: أخبر الله تعالى عن سجود الشمس؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرضِ وَٱلشَّمسُ وَٱلقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ ٱلعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفعَلُ مَا يَشَآءُ﴾. سجود الشمس كل ليلة لا يعوق دورانها في سيرها؛ بل هي تسبح في الفلك، وتسجد لله تحت العرش – وهي في حال سيرها– سجودًا يختص بها، لا نعلم كيفيته.

والمخلوقات كلها تحت العرش، فكونها تسجد تحت العرش لا يقتضي مُفارقتها لفلكها. فالشمس تسجد كل ليلةٍ تحت العرش، وهي طالعةٌ على جانبٍ من الأرض، مع سيرها في فلكها، لكنّها في وقت من سيرها وفي مكان معين، يصلح سجودها الذي لا يُدرِكُه الخلق، ولكن عُلم بالوحي.

والشمس إذا طلعت من المغرب؛ فهذا من أشراط الساعة الكبرى، والله تعالى يقول: ﴿يَومَ يَأتِي بَعضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفسًا إيمانُها لَم تَكُن آمَنَت مِن قَبلُ أَو كَسَبَت في إيمانِها خَيرًا﴾ أي: إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذٍ لا يُقبَل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مُصلِحًا في عمله فهو بخيرٍ عظيم، وإن كان مُخَلِّطًا فأحدث توبةً حينئذٍ؛ لم تُقبَل منه توبتُه، ولا يُقبَل منه عملٌ صالحٌ لم يكن عاملاً به قبل ذلك.

الحديث الثالث والعشرون:

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "ما السَّماوات السّبع في الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ مُلقاةٍ بأرضِ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ الفلاةِ على تلك الحلقةِ".

هذا الحديث دليلٌ على أن: عرش الرحمن جلَّ وعلا هو أعظم مخلوقات الله تعالى، و«**العرش**» **في اللغة هو سريرُ الملك**.

وعرشُ الرحمن عظيم، وهو سقف المخلوقات، وهو أعلاها وأكبرها، وهو كالقُبةِ على العالم، وما تحته بالنسبة إليه أصغر من حلقةٍ في فلاة.

وقال تعالى عن الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّه السّمٰواتِ وَالأَرْض﴾ أي: **شمل وأحاط**، والكرسي أكبر من السماوات، والأرض، و«**الكرسي**» **موضع القدمين**.

وإذا كان الكرسي بالنسبة للعرش كحلقةٍ أُلقيت في صحراء، فماذا تُساوي السّماوات والأرض بالنسبة للعرش؟! أم ماذا تساوي الأرض التي نحن عليها بالنسبة للعرش؟!

والعرشُ هو أثقل المخلوقات وزنًا.

وامتدح الله تعالى نفسه بأنه صاحبُ العرش؛ فقال: ﴿ذُو العَرْشِ المجِيد﴾ أي صاحب العرش المعظَّم، العالي على جميع الخلائق، وخصَّ الله العرش بالذكر؛ لعظمته ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى.
وفي قوله ﴿المجِيد﴾ قراءتان:

١) **الرفع**: على أنه صفةٌ للربِّ عزَّ وجلَّ صاحب العرش.

٢) **والجر**: على أنه صفةٌ للعرش.

والله تعالى وصفَ عرشه بالكرم وهو نظيرُ المجدِ، ووصفَه بالعظمة؛ فإنه أوسعُ كلِّ شيءٍ في المخلوقات، وأجمله وأجمعه لصفات الحسن، وبهاء المنظر، وعلوِّ القدر والرُّتبة والذات.

والعرش أول المخلوقات.

والله تعالى قد استوى على عرشه، استواءً يليق بجلاله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ولما سُئِل الإمام مالك عن الآية السابقة قال: "الاستواء معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة".

والعرش والكرسي حقيقيان، وتفسيره بالملك أو السلطان تحريفٌ وتعطيلٌ

الحديث الرابع والعشرون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما قضى اللهُ الخلقَ، كتب في كتابِه، فهو عندَهُ فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتي غلبتْ غضَبِي" وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ".

هذا الحديث يتضمن سعة رحمة الله تعالى، وكثرةِ فضله في حِلْمِه قبل انتقامه. وذكر «الكتاب» تأكيدٌ بالغٌ في معناه؛ لأن ما زاد تأكيده يثبت في كتابٍ. فغضبه جلَّ علا لم تكن لتقوم له السموات والأرض، لولا أنه غلبته رحمته، فدفع العظيم بالعظيم.

لذلك كتب تعالى في كتابٍ عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي" أو "غلبت غضبي"، كتب ذلك قبل أن يخلُقَ الخَلْق، لما قدَّر خلقهم. والمرادُ بـ"غلبت"، و"سبقت": **كثرة الرحمة وشمولها**.

فالرحمة والغضب كلاهما من صفات الله تعالى، لكن الرحمة أوسع وأشمل.

وهذا الكتاب وضِع فوق العرش؛ ففيه تنبيهٌ على جلالة قدر الكتاب والمكتوب.

- **أنواع رحمة الله لعباده:**

١) **رحمة عامة**: وهي لجميع الخلائق بإيجادهم وتربيتهم ورزقهم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحمَةً وَعِلمًا﴾ فهذه تشمل المسلم والكافر؛ لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم؛ فكل ما بلغه علم الله، وعِلمُ الله بالغ كل شيء؛ فقد بلغته رحمته، لكن رحمته للكافر رحمة جسدية و بدنية دنيوية".

٢) **رحمة خاصة**: وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين، فيرحمهم الله تعالى في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية، ونصرهم على الكافرين، ونحو ذلك، ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم، وإدخالهم الجنة، ونجاتهم من النار.

فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وبرحمته عَرَّفَنا من أسمائه وصفاته وأفعاله، ما عَرَفْنا به أنه رَبُّنا، وبرحمته أطْلَع الشمس والقمر، وبرحمته أنشأ السحاب، وأمطر المطر. وبرحمته وضع الرحمةَ بين عباده؛ ليتراحموا بها.

الحديث الخامس والعشرون:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ النبيُّ ﷺ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قالَ: "اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ لكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ الحَقُّ ووَعْدُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المقَدِّمُ، وأَنْتَ المؤَخِّرُ، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ".

هذا الدعاءُ العظيم، من الأدعية التي كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاة الليل. وقد جمع هذا الدعاء العظيم معاني: التوحيد والإيمان، والإخلاص، والتوكل، والإنابة إلى الله تعالى، والثناء عليه، والإقرار بوعد الله، وبالبعث، وبجنته وناره.

- وقوله ﷺ: "اللهم لك الحمد": أصلُ العبارة «الحمد لك»، وتقديم الخبر يدل على التخصيص. و "ال" في "الحمد" تفيد استغراق جميع المحامد.

و«**الحمد**»: **وصفُ المحمودِ بالكمال، مع المحبة والتّعظيم**؛ لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم، يُسمى مدحًا.

- **الفرق بين الحمد، والشكر:**

أن الحمد: هو الثناء على المحمود، بصفاته اللازمة والمتعدية، ويكون باللسان والقلب.

وأما الشكر: فلا يكون إلا على الصفات المتعدية، ويكون بالقلب وباللسان وبالجوارح.

فالحمدُ يكون في مقابل نعمةٍ ويكون بدونها، والشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة.

- وقوله ﷺ: "أنت نور السموات، والأرض": يعني مُنَوِّر السّماوات والأرض. وقيل: هادي أهل السماوات والأرض؛ فبنورِه اهتدوا.

والنور بهذه المعاني من أفعاله سبحانه وتعالى، والنور أيضًا من أوصافه. فالله تعالى: ﴿نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرض﴾ النورُ الحسيّ والمعنويّ؛ فالله تعالى بذاته نور، وحجابه نور. والنور المعنوي يرجع إلى الله؛ فكتابه نور وشرعه نور.

وقوله ﷺ: "ولك الحمد، أنت قيم السموات، والأرض"، وفي رواية لمسلم: «قيام»، وعند النسائي: «قيوم». «قيم»، و«قيام»، و«قيوم»: صيغةُ مبالغة، ومن أسمائه تعالى: «القيوم». و**«القيوم» هو كامل القيومية**.

- وللقيّوم معنيان:

١) **هو الذي قام بنفسه**، وعظُمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته.

٢) **هو الذي قامت به الأرض والسّماوات، وما فيهما من المخلوقات**، وافتقرت إليه من كل وجه.

فيكونُ المعنى: أنت الذي أقمت السماوات والارض من العدم، والقائم عليهما بما يصلحهما، فأنت الغنيُّ عن كل شيءٍ، وكل من سواك فقيرٌ إليك، ومن عرف الله بقيومتيه دعاه وتوسل إليه.

وقوله ﷺ: "ولك الحمد، أنت رب السموات، والأرض، ومن فيهن": و**«الرب» هو الخالق المالك المدبر**.

- وتربية الله تعالى لخلقه نوعان:

١) **عامة**: وهي خلقه للمخلوقين ورزقهم، وهدايتهم لما فيه بقاؤهم في الدنيا.

٢) **خاصة**: وهي تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان ويوفِّقُهم له.

فيكون المعنى قوله: أنت خالق السماوات والأرض، ومالكهما، ومن فيهما، والمتصرِف والمدَّبِر لأمورهم.

- وقوله ﷺ: "أنت الحق": في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود ولا وجود لشيءٍ إلا به، وهو كامل الصفات والنعوت.

- وقوله ﷺ: "ووعدك الحق": أي ما وعدت به في كتابك، وعلى ألسنة رُسلك؛ واقع.

- وقوله ﷺ: "وقولك الحق": أي صدقٌ وعدلٌ وهدىً، فلا عبث فيه، ولا كذِب.

- وقوله ﷺ: "ولقاؤك الحق": أي واقِعٌ كائنٌ لا محالة. **ولقاء الله هو البعث بعد الموت**، ووقوف العباد بين يديه؛ للمُحاسبةِ بأعمالهم.

ولقاء الله لقاءٌ حقيقي، على ما يليق بالله، من غير تحريفٍ ولا تأويل.

- **ولقاء الله على نوعين:**

١) **لقاءُ محبوبٍ** على وجه الإكرام.

٢) **ولقاء مكروهٍ** على وجه التعذيب.

- وقوله ﷺ: "والجنةُ حقٌ، والنارُ حقٌ": فهما مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان.

- وقوله ﷺ: "والنبيون حقٌ": فنؤمن بأنبياء الله، ورسله إجمالًا وتفصيلًا، ونُصَدِّق بما صح من أخبارهم، ونؤمن بأنهم جميعًا صادقون، بلَّغوا رسالات ربهم ولم يُبدِلوا، ولم يكتموا منها حرفًا.

- وقوله ﷺ: "ومحمَّدٌ حقٌ": خَصَّه بالذكر مع أنه من جملة النبيين؛ تعظيمًا له، وعطفه على النبيين؛ إشارةٌ إلى أنه فائِقٌ عليهم بأوصافٍ مُختصةٍ به.

- وقوله ﷺ: "والساعةُ حقٌ": أي **يوم القيامة**، وما فيه من الحساب والميزان والصراط وغير ذلك؛ فكلُه صِدقٌ.

- وقوله ﷺ: "اللهم لك أسلمت": أي **استسلمت وأطعتُ وانقدت لحكمِك**.

- وقوله ﷺ: "وبك آمنت": أي **صدَّقتُ بك**، وبما أنزلت، وبكل ما أخبرت، وأمرت ونهيت.

- وقوله ﷺ: "وعليك توكلت": تَبرَّأ إليه من الحول والقوة، وصرف أموره إليه؛ وأيقن أنه لن يُصيبَهُ إلا ما كُتِب له.

- وقوله ﷺ: "وإليك أنبت": أي **رجعت إلى الخير، فالإنابةُ: الرجوع إلى الله بالتوبة**، أي **تُبتُ ورجعت بهمتي إلى طاعتك**. وقيل: إليك رجعتُ في أمري؛ أي فوضت أمري إليك.

- وقوله ﷺ: "وبك خاصمت": المعنى **حاجَجْتُ من عاندك بحُجَّةِ اللسان وبالسيف**، وقيل: بتأييدك قاتلت.

- وقوله ﷺ: "وإليك حاكمت": أي: **أُحاكِم إليك بالحِجَجِّ والسيف، كل من أَبى قبول الحق**، وجعلتُكَ الحاكم بيني وبينه، فتكون «المخاصمة» لله تعالى، لا لهواه، وتكون «محاكمته» خصمه إلى أمر الله، وشرعه، لا إلى شيءٍ سواه.

- وقوله ﷺ: "فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت": يعني ما قدمت من الذنوب، أو من التقصير في العمل، قبل هذا الوقت. وما أخرت عنه ما يقع مني بعد ذلك، وقيل ما قدمت من شهواتي على حقوقك، وما أخرت من الحقوق التي تجب لك.

- وقوله ﷺ: "وما أسررت، وما أعلنت": أي ما أخفيت وأظهرت من الأقوال، والأفعال السيئة. أو ما حدَّثت به نفسي، وما تحرك به لساني.

- وقوله ﷺ: "أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر": أي تُقدم من شئت من خلقك إلى طاعتك، وتؤخر من شئت، كما تقتضيه حكمتُك.

- وقوله ﷺ في رواية: "أنت إلهي، لا إله إلا أنت": بدأ الدعاء بالتوحيد، وختمه بالتوحيد، أي أنت معبودي، فلا معبود بحقٍ غيرُك.

- وقوله ﷺ: "ولا حول ولا قوة إلا بالله": المعنى لا تَحوُّل للعبد من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوة له على ذلك، إلّا بمعونة الله. وهذه كلمةٌ عظيمةٌ، وهي كنزٌ من كنوز الجنة.

- **أنواع الاستفتاح الثلاثة:**

وبهذا يكون النبي ﷺ قد جمع في هذا الدعاء أنواع الاستفتاح الثلاثة:

١) **أعلاها: ما كان ثناءً على الله:** "اللهم لك الحمد أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ".

٢) **ويليه: ما كان خبرا من العبد عن عبادة الله:** "اللهم لك أسلمت، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْت".

٣) **والثالث: ما كان دُعاءً للعبد:** "فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت".

والتوسل إلى الله تعالى في الدعاء، بتقديم الحمد والثناء عليه، وتمجيده بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده؛ لا يكاد يُرَد معه دعاء.

الحديث السادس والعشرون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قَطُّ: إذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، واذْرُوا نِصْفَهُ في البَرِّ وَنِصْفَهُ في البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عليه لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فأمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجَمع ما فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمع ما فِيهِ، ثُمَّ قالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قالَ: مِن خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ له".

هذه القصة من عجائب القصص التي وقعت في الزمان السابق، التي أوحى الله تعالى بها إلى نبينا ﷺ، وقصَّها على أصحابه؛ موعظةً وذكرى لهم.

وحاصلُها: أن رجُلًا أنعم الله تعالى عليه بالمال الكثير، ورزقه الأولاد، لكنّه لم يشكر ربه، وأسرف على نفسه بالمعاصي فلما حضره الموت؛ تملكه الخوف الشديد، وظن أنّ الله سيعذبُه، فهو يؤمن بالله وباليوم الآخر، والحساب في الجملة، لكنه كان يشك في تفاصيل قدرة الله تعالى، وظن بجهله أنه لو أُحرِقَ بعد موته وأذْرَتْه الريح، فسيُفلِت من عذاب الله.

فأوصى أولاده أن يفعلوا به ذلك بعد موته، ففعلوا؛ فأمر الله تعالى البرّ والبحر أن يجمع ما فيه، فإذا هو قائِمٌ رجُلًا سويًّا.

فسأله الله تعالى عن السبب الذي حمله على صنيعه، -وهو سبحانه وتعالى أعلمُ به- فقال: يا رب خشيتُك.

هذا الرجل شك في قدرة الله تعالى، وهذا كفرٌ باتّفاق المسلمين، لكنّه كان جاهلًا لا يعلمُ ذلك، وكان مُؤمنًا يخاف الله أن يُعاقبه؛ فغفر له بذلك.

فقوله ﷺ: "لم يعمل خيرًا قط": الظاهر أن المقصود عمل الجوارح، وأن عنده أصلُ الإيمانِ في قلبه.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن: الخوف من الله تعالى من أعظم أسباب المغفرة. وفيه أيضًا: بيانُ عظيم قدرة الله تعالى، وأن بعث الموتى هينٌ عليه يسير.

الحديث السابع والعشرون:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "اجْتَمع عِنْدَ البَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أن اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟ وَقالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ، إنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ، إنْ أَخْفَيْنَا وَقالَ الآخَرُ: إنْ كانَ يَسْمَعُ، إذَا جَهَرْنَا، فَإنه يَسْمَعُ إذَا أَخْفَيْنَا، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عليْكُم سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾".

هؤلاء ثلاثة رجالٍ من المشركين -وقد أسلم بعضُهم بعد ذلك- اجتمعوا عند البيت، وصفهم ابنُ مسعود بقلةِ الفقه؛ لأنّهم شبهوا الله تعالى بخلقه. وأفطنهُم وأفقههُم من قال: "إن كان يسمعُ إذا جهرنا؛ فإنه يسمعُ إذا أخفينا"، لكنّه شك في ذلك؛ ولذا وُصِفَ بقلة الفقه معهم.

والله تعالى سميعٌ بصيرٌ، يسمعُ جميع الأصوات الظاهرة والباطنة باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، فالغيب عنده شهادة، والسّر عنده علانية، والبعيد عنده قريب، فعلمُه وسمعُه يشمل السر والاعلان: ﴿سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فكان يَخْفَى عليَّ كلامُها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَولَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُ بَصِيرٌ﴾".

وفيه تنبيهٌ على أن: المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمرُّ عليه حالٌ، إلا له رقيبٌ من الله تعالى.

الحديث الثامن والعشرون:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في غَدٍ، ولَا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في الأَرْحَامِ، ولَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وما تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وما يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المطَرُ".

وفي رواية: "مفاتِحُ الغيب خمس ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾".

اشتمل هذا الحديث على أصلٍ عظيمٍ من أصول الإيمان وثوابت العقيدة، وهو أن الغيب لا يعلمه أحدٌ إلا الله تعالى، لا مَلِكٌ مُقرَب ولا نبيٌّ مُرسَل، فضلًا عمن دونهما.

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بهذا الأصل، فمن اعتقد أنّ غير الله يعلمُ الغيب؛ فقد كفر. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "من ادعى علم الغيب فهو كافر، ومن صدَّق من يدعي علم الغيب فإنه كافرٌ أيضا؛ لأنه إذا صدقه فقد كذب قوله تعالى: ﴿قُل لا يَعلَمُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ الغَيبَ إِلَّا اللَّهُ وَما يَشعُرونَ أَيّانَ يُبعَثونَ﴾".

- وقوله ﷺ: "مفاتِحُ الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله" أي: **خزائن الغيب**، فلا يعلم الغيب إلا من بيده مفاتح أقفاله وهو الله.

- **ما وجه كونها مفاتح؟**

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمة الله– في بيان وجه كون هذه الخمس مفاتح:

١) **الساعة**: مفتاح الحياة الآخرة.

٢) **نزول الغيث**: مفتاح حياة الأرض بالنبات.

٣) **ما في الأرحام**: مفتاح الوجود في الحياة.

٤) **عمل الغد**: مفتاح عمل المستقبل.

٥) **علم مكان الموت**: مفتاح الانتقال من الدنيا إلى الآخرة.

فلهذا صارت هذه الخمس مفاتح.

و«**الغيب**» **يُقصد به كل ما غاب عن علم الناس**، كالملائكة ومواقيت الأشياء المستقبلية ونحو ذلك.

- **والغيبُ نوعان:**

١) **واقِعٌ وهو نسبي**، يكون لشخصٍ معلومًا، ولآخر مجهولًا.

٢) **مستقبل وهو حقيقي**، لا يكون معلوما لأحد إلا الله وحده، أو من أطلعَهُ عليه من الرسل.

– وقوله: "خمس" لا يفيد حصر علم الغيب في هذه الخمس، لكن هذه أُمهاتُها، وذُكِرت لحاجة الناس إلى معرفة اختصاص الله بعلمها.

– وقوله ﷺ: "لا يعلَم أحدٌ ما يكون في غدٍ" لا يعلم أحد ما ينطوي عليه الغد من خيرٍ أو شر، ولو كان نبيًّا، إلا بواسطة الوحي المنزل عليه.

– وقوله ﷺ: "ولا يعلم أحدٌ ما يكون في الأرحام"، وفي رواية: "ولا يعلم ما تَغيضُ الأرحام إلا الله": فيعلم ما حملت من ذكرٍ أو أنثى أو شقيٍ أو سعيد.

– وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ أي: **تنقص مما فيها**، إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل.

فإن قيل: الطبُ الحديث الآن يعلم ما في الأرحام، ويعلم نوع الجنين، هل هو ذكرٌ أو أنثى بواسطة الأشعة؟ **فالجواب**:

١) عِلمُ الله تعالى أعم من مجرد علم كونه ذكرًا أو أنثى؛ فالله تعالى يعلم هل هو حسنٌ أو قبيح؟ شقيٌ أو سعيد؟ رزقه أجله، هل سيخرج حيًّا أو ميتًا؟

٢) وسائل التقنية لا يُمكنها العلم بنوع الجنين إلا بعد أن يقضي الله خلقه، ويصير ذكرًا أو أنثى، وإذا خُلِّقَ صار من عالم الشهادة لا من عالم الغيب.

- وقوله ﷺ: "ولا تعلم نفسٌ ماذا تكسب غدًا": يعني ماذا تكسب في المستقبل، فالإنسان لا يعلم ماذا يكسِبُ غدًا علمًا يقينيًا، ولكنّه قد يتوقع.

- وقوله ﷺ: "وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت": وإذا كان الإنسان لا يدري مكان الموت، مع أنه يُمكنه الانتقال من أرضٍ إلى أرضٍ؛ فزمانُ الموت من باب أولى، فجهالة الزمان أشد من جهالة المكان.

- وقوله ﷺ: "وما يدري أحدٌ متى يجيء المطر": الذي يُنَزِّل المطر هو الله، ولا يعلم وقته إلا هو، لكن معرفة أحوال الطقس وتوقعها لا يدخل في ادعاء علم الغيب.

- وقوله ﷺ: "ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله": فمن زعَم أن الساعة ستقوم يوم كذا، أو أنّ نهاية العالم اقتربت فهو كاذِبٌ، مُفتَرٍ على الله الكذب، وللساعة أشراطٌ، لا تقوم الساعة إلا بعد وقوعها، وكثيرٌ منها لم يقع.

والمطلوب من المسلم أن يعمل ليوم القيامة، ولا ينشغل بموعدها، ولا يمنعه قرب قيام الساعة، أو الخوف من قيامها من العمل.

الحديث التاسع والعشرون:

عن أَبي ذَرٍّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: "إِنِّي أَرى ما لا ترون وأسمع ما لا تَسْمعونَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله".

- قولهﷺ: "أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطّ" أي: **صاحت وصوتت** من ثقل وكثرة ما عليها من الملائكة الساجدين العابدين الخاضعين لله تعالى وعظمته، وينبغي لها أن تفعل؛ فالسماءُ مسكنُ الملائكة الذين لا يَفتُرون عن عبادة الله، مع عدم عصيانهم لله تعالى طرفة عين. قال تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.

فأخبرنا النبي ﷺ أنه ما من موضعٍ في السماوات السبع إلا وهو مشغولٌ بالملائكة، يتعبدون لربهم. وهم في صُنوفٍ من العبادة منهم من هو قائمٌ أبدًا، ومنهم من هو راكعٌ أبدًا، ومنهم من هو ساجدٌ أبدًا، ومنهم من هو في صُنوفٍ أُخرى، الله أعلمُ بها، وهم لهم منازلٌ عند ربهم، ولِكل واحدٍ منهُم موضِعٌ مخصوصٌ في السماوات ومقامات العبادة، لا يتجاوزه.

كما قالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ **أي نقف صُفوفًا في الطاعة**، فصُفوف الملائكة في السماء كصُفوف الناس على الأرض، فهم كما قال ﷺ: "يُتمون الصفوف الأول، ويتراصُّون في الصف".

وفي هذا الحديث بيانٌ لكمال عظمة الله تعالى وجلاله، وكمال تعظيم الملائكة له.

الحديث الثلاثون:

عن عوفٍ بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: "قمت مع رسول الله ﷺ ليلةً فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك".

هذا الذكر العظيم من الأذكار المشتركة في الركوع والسجود، وقد ثبت أن النبي ﷺ كرره بمقدار قراءة سورة البقرة.

ولذا يقول المصلي في ركوعه: "سُبحان ربي العظيم"، فنزَّه عظمته -سبحانه وتعالى- عن حال العبد وذُلِّه وخضوعِه، وقابلَ تلك العظمة بهذا الذل والإنحناء، وربُّه فوقَه يراه ويسمعه، فهو رُكنُ تعظيمٍ وإجلال.

لا يمتَنعُ الدعاء في الركوع بما ورد، كما لا يمتَنعُ التعظيم في السجود بما ورد، لكن الغالب في الركوع يكون التعظيم وفي السجود الاجتهاد في الدعاء.

وقد كان يقول النبي ﷺ في ركوعه وسجوده أيضًا: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي".

والركوع والسجود حالتا ذُلٍّ وخضُوعٍ وانخفاض؛ لذلك كان النبي ﷺ يقول فيهما: "سبحان ذي الجبروتِ، والملكوتِ، والكبرياءِ، والعظمةِ" أي أُنزِهُ الله عن كل نقصٍ وعيبٍ وسوءٍ، وما لا يليق بكمالِه وجلالِه، كالجهل أو العجز.

الجبروت: مأخوذٌ من الجبر والقهر، والملكوت: مأخوذ من المُلك، وهي بمعني واحد، لكن زيدَتِ الواوُ والتاءُ؛ للمبالغة في الصفة.

فالله تعالى هو الجبار، **الجبار له ثلاثةُ معانٍ، كلها داخلةٌ فيه:**

١. **معنى الرَّؤوفُ،** فهو يجبر الضعيف والكسير، ويجبر قلوب المحبين له ببركاته.
٢. **معنى القهارُ لكل شيءٍ،** الذي دانَ وخضع له كل شيءٍ.
٣. **معنى العليُّ،** فهو الأعلى على كل شيءٍ.
٤. **وقد يُرادُ به معنى رابع وهو المتكبِرُ عن كل سوءٍ ونقص،** وعن أن يكون له كُفؤٌ، أو ضِدٌّ أو سَميٌّ، أو شريكٌ، في خصائصه وحقوقه.

والله هو المَلِكُ سبحانه وتعالى، صاحِبُ الملك الموصوف بصفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق.

والكبرياء: العظمة والملك والجلال والمجد، وقيل هي عبارة عن كمال الذات والوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى. والعظمة: معناها قريبٌ من الكبرياء، لكن الكبرياء أعلى.

الحديث الحادي والثلاثون:

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "الحمد لله الذي وَسِعَ سمعه الأصوات، لقد جاءت خَوْلةُ إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجَها، فكان يَخْفَى عليَّ كلامُها، فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تَحَاوُرَكُما﴾".

هذا رجلٌ من الأنصار، كان شيخًا كبيرًا، اشتكت زوجته إلى الله تعالى، وحاورت رسول الله ﷺ لما حرَّمَها على نفسه بالظهار –وكان من طلاق الجاهلية– بعد الصُحبة الطويلة والأولاد.

وكانت أُم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– في ناحية البيت، تقول: "فكان يَخْفَى علي كلامه"، وفي رواية "وما أسمعُ ما تقول".

لكِنَّ الله سمع شكواها ومجادلتها من فوق سبع سماوات؛ لذلك قال في ختام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ فهو سميعٌ لما تناجيه، وتتضرع إليه، بصيرٌ بمن يشكو إليه، وهذا إخبارٌ عن كمال سمعِه وبصرِه، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك إشارةٌ بأن الله سيُزيلُ شكواها، ويرفع بلواها.

ولذا قالت عائشة –رضي الله عنها–: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات" أي أدرك سمعُه الأصوات كلها، لا يفوته منها شيء، ولا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تُغْلِطه كثرة المسائل.

وقول عائشة –رضي الله عنها– هذا يدل على أن الصحابة –رضي الله عنهم– آمنوا بالنصوص على ظاهرها الذي يتبادر إلى الفهم، وأن هذا هو الذي أراد الله تعالى من المكلَفين، إذ لو كان هذا الذي آمنوا به خطأٌ لم يُقرّوا عليه، ولم يأتِ عن أحدٍ منهم تأويل للنصوص، وصرفها عن غير ظاهرها.

- **وسمعه عز وجلّ نوعان:**

١) **سمعُ إدراكٍ**: لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، وإحاطته التامة بها.

٢) **وسمعُ إجابة**: منه للسائلين والعابدين، فيجيبهم ويثيبهم.

والسمع الثاني لا يُنافي الأول، وليس هو تأويلًا له؛ بل هو إثباتٌ له ومن لوازمه؛ فإذا كان الله يُجيب دعوات الداعين، فيلزُم من هذا أنه يسمعُها.

الحديث الثاني والثلاثون:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابعِ الرحَّمن، كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُه حيثُ يشاء"، ثم قال رسول الله ﷺ: "اللهم مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتك".

في هذا الحديث بيانٌ: أن الله تعالى متصرِفٌ في قلوب العباد كيف يشاء، فمن شاء أقام قلبه، ومن شاء أزاغه.

ونحن نؤمن بهذا الحديث على حقيقته، وأن لله تعالى يدين وأصابع حقيقة، نُثبِتُها له كما أثبتها رسول الله ﷺ، على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، من غير تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيلٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾.

ونؤمن بأن القلوب كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن على وجه الحقيقة، ولا نُأوِّل الحديث.

ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الله أن تكون مماسة لها، ولا يلزم منه الحُلولُ بأن تكون أصابع الله داخل أجوافنا، فالبينية بين شيئين لا يلزم منها المماسَّة والمباشرة، وهذا كما قال تعالى: ﴿والسَّحاب المسخَّرِ بين السَّمآءِ والأرْضِ﴾، فهل يلزم من الآية أن يكون السحاب مُلاصِقًا للسماء والأرض؟ لا يمكن. وإذا كانت البينية لا تستلزم المباشرة بين المخلوقات، فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق سبحانه وتعالى.

وقد دلَّ الشرعُ والعقل على أن الله تعالى بائِنٌ من خلقه، ولا يَحِلُّ في شيءٍ من خلقه، ولا يَحِلُّ فيه شيءٌ من خلقه تبارك وتعالى، وأجمع السلف على ذلك.

فالحاصل: أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد، يُصرفها ويقلبها كيف يشاء، ونواصي العباد بيده سبحانه وتعالى.

ومن دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضِلَّني"، فالله تعالى بعزته يُضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فهو لكمال عزته وغناه؛ لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصيةُ العاصين.

الحديث الثالث والثلاثون:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قَالَ: "مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ".

فالله تعالى هو رب العالمين، له مقاليدُ السماوات والأرض، **وهو السيّدُ الصمدُ الغنيُ، الذي تصمُد إليه جميع المخلوقات، في جميع حاجاتها**.

وهو تعالى: ﴿كُلّ يومٍ في شأنٍ﴾: يغفر ذنبًا، ويُفَرِّج كربًا، ويُجيب داعيًا، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، إلى ما لا يُحصى من أفعاله –سبحانه وتعالى– في خلقه بما يشاءُ. لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ، ولا تغلطه المسائِلُ، ولا يُبرِمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين.

فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمّ لُطْفُه جميع الخلق، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصيةُ العاصين، ولا استغناءُ الفقراء الجاهلين به وبكرمه.

وهذهِ الشئون التي أخبرَ أنَّه تعالى كل يومٍ في شأنٍ هي: تقاديره وتدابيره، التي قدرها في الأزل وقضاها، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، لا يزالُ تعالى يُمضيها ويُنفِذُها، في أوقاتها التي اقتضتها حكمته. وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يُجريها على عباده، مُدة مُقامِهم في هذه الدَّارِ.

- وقوله ﷺ: "ويرفع قومًا" أي يرفعهم إلى الدرجات العُلى بأعمالِهم الصالحة، أو يرفعهم بحظوظ الدنيا من الرزق، وغيره. وقوله ﷺ : "ويخفض آخرين" أي إلى الدركات السُفلى بسوء أعمالهم، أو بتقليل أرزاقهم.

فالله تعالى يحكُم في خلقه بميزان العدل، فمن عمل ما يستحق الرفع رفعَهُ تارةً بتوسيع الرزق، والتوفيق للطاعة، ومن عمل ما يستحق الخفض، خفضه تارةً بتقتير الرزق، والخذلان بالمعصية، عدلًا وحكمةً.

الحديث الرابع والثلاثون:

عن عبدالعزيز بن صهيب قال: "دَخَلْتُ أنَا وثَابِتٌ علَى أنَسِ بنِ مَالِكٍ، فَقالَ ثَابِتٌ: يا أبَا حَمْزَةَ، اشْتَكَيْتُ، فَقالَ أنَسٌ: ألَا أرْقِيكَ برُقْيَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قالَ: بَلَى، قالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إلَّا أنْتَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا".

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كانَ النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بيَمِينِهِ: "أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا".

وعنها -رضي الله عنها-: "أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ علَى نَفْسِهِ بالمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أقْرَأُ عليه، وَأَمْسَحُ عنْه بيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا".

ورقاهُ جِبْرِيلَ -عليه السلام- فقالَ: يا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فقالَ: " نَعَم"، قالَ: "باسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، باسْمِ اللهِ أرقيكَ".

وكان ﷺ يَرْقي الحسنَ، والحُسَيْنَ -رضي الله عنهما-، فكان يُعوِّذُهما ويقول: " أعوذ بِكَلماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وَهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ"، ويقول: "هَكذا كانَ إبراهيمُ يعوِّذُ إسحاق وإسماعيل".

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي–رضي الله عنه– أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجِدُه في جسده منذُ أسلم. فقال له رسول ﷺ : "ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذِر".

فالله تعالى هو الشافي وحدَهُ، لا شفاء إلا شفاؤه، بما يُقدِّر من الأسباب الموصِلة إليه، فما يقع من الدواء والتداوي، إن لم يُصادف تقدير الله تعالى، وإلا فلا يَنْجَع.

وقد رأينا المنتسبين إلى علم الطب يُعالج أحدهم رَجُلَيْن بعلاجٍ واحدٍ، وهو يزعم أن عِلتهما واحدةٌ، فيفيق أحدهما، ويموت الآخر.

ولذا توسل النبيُّ ﷺ في هذه الرقية إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، فتضمَّنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه.

فالمريض يتوسل إلى الله بربوبيته العامة: "اللهم رب الناس" فهو الربُّ الخالقُ، المالِكُ، المدبِّرُ لجميع الأمور. فشفاءُ الله تعالى لا شفاء غيره، وشفاءُ الطبيب والدواءُ ما هو إلا سبب.

وقد جعل الله القرآن شِفاءً لأمراض القلوب: الشفاء المعنوي الروحي، وأمراض الأبدان: الشفاء المادي. قال تعالى: ﴿وننزلُ من القراءنِ مَا هُوَ شِفآءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ ومن هنا لبيان الجنس، وليس للتبعيض، فالقرآن كله شفاءٌ.

يقول الإمام ابن القيم: "فما من مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان، إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والوقاية منه، لمن رزقه الله فهمًا في كتابه".

وفي الحديث: "ما أنزل الله داءً، إلا أنزل له شفاء". وهذا يَعُمُّ الأدوية الحسية وغيرها، فيكف إذا كان الدواء بالقرآن الذي فيه من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتدِ إليها عقول أكابِر الأطباء؟

فدلّ هذا على أهمية الرُقية الشرعية، وهي من الأسباب الإلهية في العلاج.

والرُقية: ما يُعَوَّذ به المريض من الأدعية؛ لطلب الشفاء.

والرُقية الشرعية هي الدواء المعنوي الذي هجره كثيرٌ من للناس اليوم، فهي علاجٌ لأمراض الأبدان، والأمراض النفسية، وأمراض القلوب.

مع العلم أن العلاج في العيادات الطبية، والعلاج بالقرآن والرُقى الشرعية لا يتنافيان؛ فهما سببان لحصول الشفاء، فمتى أُصيب الإنسان بحالة مرضية، فإنه يستعمِل أولًا العلاج بالقرآن، والرُقى الشرعية، فإن استمر به الداء، فإنه يعرض نفسه على طبيبٍ بشري مع الاستمرار في الرُقية الشرعية.

الحديث الخامس والثلاثون:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: "أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يومَ القِيَامَةِ، هلْ تَدْرُونَ بمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وتَدْنُو منهمُ الشَّمْسُ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُمْ فِيهِ؟ إلى ما بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إلى مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ.....(الحديث إلى أن قال): "فَيَأْتُونِي، فأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَه".

الحديث السادس والثلاثون:

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِّي –رضي الله عنه– أنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، هلْ نَرَى رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النبيُّ ﷺ: "نَعَمْ"، وساق الحديث. وفيه: "...فيقول الله عز وجل: شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ".

في هذين الحديثين: **إثبات الشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة، وهي سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثار للغير**، فالله تعالى بلطفِه وكرمِه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد؛ إظهارًا لكرامة الشافعين عنده، ورحمةً بالمشفوعِ فيهم.

- **ولا تصِحُّ الشفاعةُ عند الله تعالى إلا بشرطين:**

١) **إذن الله تعالى للشافع أن يشفع**، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِندَهُ إلّا بإذْنِه﴾.

٢) **رضا الله عن المشفوع له أن يشْفَعَ فيه**، قال تعالى: ﴿وَلا يَشفَعُونَ إلّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾.

وقد دلَّتِ النصوص على أن الله لا يرضى أن يُشفَع إلا في أهل التوحيد، أما شفاعةُ النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن أبي طالب؛ فهي شفاعةٌ خاصةٌ به وحده.

- **وتنقسم الشفاعة من حيثُ القبول والرد إلى قسمين:**

١) **مردودة**: وهي ما فقدت أحد شرطي الشفاعة المذكورين.

٢) **مقبولة**: وهي ما تحقق فيها شرطا الشفاعة.

الحديث السابع والثلاثون:

عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ".

من عقيدتنا: الإيمانُ بالميزان، والإيمانُ بالصراط، وهما دليلان على كمال عدل الله تعالى.

١) **والميزان**: **ميزانٌ حقيقيٌ محسوس، له لسانٌ وكفتان، توزن فيه أعمال العِبادِ**، ويكون بعد انقضاء الحساب يوم القيامة.

وقد اختلف العلماء هل هو ميزانٌ واحد أم ان لكل شخص ميزان أو لكل عمل ميزان. وهو ميزانٌ دَقِيقٌ عادلٌ، توزَن فيه الحسنات والسيئات بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى. ولا يعلم قَدْرَ هذا الميزان إلا الله، فالميزان أوسع مما بين السماء والأرض.

- **ما الذي يوزن في الميزان يوم القيامة؟**

قد دَلَّت النصوص الشرعية على أن الذي يوزن في الميزان يوم القيامة ثلاثةُ أشياءٍ:

١) **وزن الأعمال**: فيؤتى بالأعمال خيرِها وشرِّها وتوزن في الميزان بعد أن يَقْلِبها الله تعالى بقدرته أجسامًا.

٢) **وزن صحائف الأعمال**: فدلَّ عليه حديثُ البطاقة في الرجل الذي يُوضع له تِسعةٌ وتِسعون سجلًّا، كلُّ سجل مثل مُد البصر في كفة، وبطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" في كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة.

٣) **وزن صاحب العمل**: قال النبي ﷺ: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يَزِنُ عند الله جناح بعوضة".

وقد يُوزن كلُّ ذلك.

٢) أمّا الصراط: **فهو جِسر ممدودٌ على متن جهنم، يَرِدُه الناس**، وهو أدق من الشَّعر، وأحدُّ من السيف، لا تثبت عليه قدم إلا من ثبَّتَهُ الله، ويُنصب في الظلمة، فيُعطى الناسُ أنوارًا على قدر إيمانهم، ويمرون من فوقِه على قدر أعمالهم.

الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: "ربَّنا ولك الحمدُ مِلْءَ السَّمواتِ ومِلْءَ الأرضِ ومِلْءَ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجدِ أحقُّ ما قال العبدُ وكلُّنا لك عبدٌ لا مانعَ لِما أعطَيْتَ ولا مُعطيَ لِما منَعْتَ ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ".

هذا الذِكرُ من أذكار الرفع من الركوع، وفيه ثناءٌ على الله تعالى بما هو أهله.

– قوله: "أحق ما قال العبد" يعني أحق ما قال العبد قوله "لا مانع لما أعطيت..." إلى آخره.

– وقوله: "كلنا لك عبد" أي ينبغي لنا أن نقول هذا؛ لأننا كلنا لك عبدٌ.

وفي هذا دليلٌ على فضيلة هذا الذِكر، فقد أخبر النبي ﷺ أن هذا أحق ما قاله العبد؛ لما فيه من التفويض إلى الله، والاعتراف بوحدانيته، والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به، ولما فيه من الحثِّ على الزُهد في الدنيا، والإقبال على الأعمال الصالحة كما قال: "لا ينفع ذا الجدِّ منك الجدّ" أي لا ينفع ولا يُنجي ذا الحظِ في الدنيا حظُه منك، إنما ينفعه الإيمان والعملُ الصالح.

- وقيل: "أحق ما قال العبد" تعود على قوله "اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض..."

- وقال في آخره: "لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت"، وهذا يقتضي انفراده بالعطاء والمنع، فلا يُستعان إلا به ولا يُطلب إلا منه.

- وقوله عن التحميد: "وملء ما شئت من شيءٍ بعد": إشارة إلى الاعتراف بالعجز عن أداء حق الحمد، فإنه ﷺ حمد الله ملء السماوات والأرض، ثم أحال الأمر فيه على مشيئة الله تعالى، ولم ينتهِ أحدٌ من خلق الله في الحمد مَبْلَغَه، ومنتهاه ﷺ، وبهذه الرُّتبة استحق أن يُسمى "أحمد"؛ لأنه كان أحمد مِن سِواه.

الحديث التاسع والثلاثون:

عن جابر -رضي الله عنه- قال: "لما رجَعت إلى رسولِ الله ﷺ مُهاجِرَةُ البحرِ قالَ: "ألا تحدِّثوني بأعاجيبِ ما رأيتُمْ بأرضِ الحبشَةِ؟"، قالَ فِتيةٌ منهم بلَى يا رسولَ اللَّهِ بينا نحنُ جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائزِ رَهابينِهم تحملُ علَى رأسِها قُلَّةً من ماءٍ فمرَّت بفتًى منهم فجعلَ إحدى يدَيهِ بينَ كتفيها ثمَّ دفعَها فخرَّت علَى رُكْبتَيها فانكسَرت قُلَّتُها فلمَّا ارتفَعتِ التفتَتَ إليهِ فقالَت سوفَ تعلَمُ يا غُدَرُ إذا وضعَ اللَّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأوَّلينَ والآخِرينَ وتَكَلَّمتِ الأيدي والأرجلُ بما كانوا يَكْسِبونَ فسوفَ تعلَمُ كيفَ أمري وأمرُكَ عندَهُ غدًا". فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: "صدَقَتْ صدَقَتْ! كيفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لا يؤخَذُ لضَعيفِهِم من شديدِهِم؟".

لما رجع الذين هاجروا إلى الحبشة قصوا على رسول الله ﷺ هذه الحكاية التي جرت بين العجوز والفتى الذي دفعها وكسر قُلتها، فهددته بما سيجري يوم الحساب، حين ينصِبُ الله الكرسي، وينزل من العرش

إلى الكرسي، ويأتي مَجيئًا يليق بجلاله وكماله، وتُشرق الأرض بنور ربها، وقد طوى سبحانه وتعالى السماوات والأرض، وأحاطت الملائكة بالخلائق، فيُقتص للظالم من المظلوم، وأقرَّ النبي ﷺ كلامها وصدقه.

وهذا الحديث يدلُّ على عظمة الله، وعظيم قدرته وسلطانه، وكمال عدله.

الحديث الأربعون:

عن عبدالله بن أُنيس –رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يحشرُ اللَّهُ النَّاس يوم القيامة –أو قالَ: العباد– عُراةً غُرْلًا بُهْمًا"، قال: قلنا: وما بُهْمًا؟ قالَ: "ليسَ معَهُم شيءٌ، ثم يُناديهم بصوتٍ يسمعُهُ من بَعُدَ كما يسمعُهُ من قَرُبَ: أَنا الملِكُ أَنا الدَّيَّانُ، ولا ينبغي لأحدٍ من أَهْلِ النَّارِ أن يدخلَ النَّارَ وله عند أحدٍ من أهل الجنة حَقٌّ، حتى أقصَّهُ منه. ولا ينبغي لأحدٍ من أَهْلِ الجنَّةِ أن يدخل الجنة، ولأحدٍ من أهل النار عنده حَقَّ، حتى أقصه منه، حتى اللطمة"، قالَ: قلنا كيفَ، وإنَّما نأتي الله عُراةً غرلًا بُهْمًا؟ قالَ: "بالحسَناتِ والسَّيِّئاتِ".

هذا الحديث الذي رحل جابرٌ لأجله واشترى بعيرًا وسار شهرًا كاملًا؛ ليسمعَهُ من عبد الله بن أُنَيس. وهو حديثٌ عظيمٌ في القصاص، اقتصاص الخلق بعضهم من بعضٍ في الحقوق بالحسنات والسيئات، حتى يُقتصَّ للبهائم والحيوانات.

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه من عِرْضِه، أو شيءٍ؛ فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالِحٌ، أُخِذ مِنْه بقدر مظْلمتِهِ، وإن لم تكُن له حسناتٌ، أُخذ من سيئاتِ صاحبه، فحُمِل عليْه".

– وقال سبحانه وتعالى: "أنا المِلِكُ، أنا الدَّيَّان"؛ **فهو الذي بيده مُلك السماوات والأرض، ومن فيهن، وهو الدَّيَّان الحكم، الذي يُجازي عباده بأعمالهم.**

– وقوله: "ثم يُناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ، كما يسمعه من قرب" فيه دليلٌ على أن بعض أهل الموقف أقرب إلى الله تعالى من بعض.

ملخص أهم ما تضمنته أحاديث هذا الكتاب:

١) الله تعالى هو الأوَّل قبل كل شيء، فهو الأول بلا بداية، كما أنه الآخر بلا نهاية.

٢) الإيمان بالقدر لا يتمُّ إلا بالإيمان بمراتبه، **وأركانه الأربعة هي:**

١. **العلم.**

٢. **والكتابة.**

٣. **والمشيئة.**

٤. **والخلق.**

٣) اللهُ خالقُ كل شيء سبحانه وتعالى.

٤) **المواثيق التي أخذها الله تعالى على بني آدم ثلاثة:**

١. الميثاق الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام.

٢. وميثاق الفطرة.

٣. وما جاءت به الرسل، وأُنزِلت به الكتب.

٥) إذا أتى الشيطان الإنسان، ووسوس له: من خلق الله؟ **فيدفع هذا بأمور ثلاثة:**

١. **بالانتهاء.**

٢. **والتعوذ من الشيطان.**

٣. **وبالإيمان.**

٦) نُثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، من جميع الأسماء، والصفات وما تتضمن من معاني وأحكام على الوجه اللائق بكماله وجلاله، ونُجريها على ظاهرها، من غير تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيلٍ.

٧) الله تعالى حيٌّ قيُّومٌ، **الحيُّ: ذو الحياةِ الكاملة، لم يسبق ولا يلحق حياته موتٌ، والقيُّوم: القائم بذاته لا يحتاج إلى أحدٍ، والقائم على كل شيء، يحتاج إليه كل أحد.**

٨) يحكم الله تعالى في خلقه بميزان العدل، فمن عمل ما يستحق الرفع رفعه، ومن عمل ما يستحق الخفض خفضه.

٩) حرم الله تعالى الظلم على نفسه؛ فالله تعالى مُقدَّس ومُنزَّهٌ عن الظلم.

١٠) الخلق مفتقرون إلى الله سبحانه وتعالى في جميع أمور دينهم ودنياهم.

١١) جميعُ المخلوقاتِ داخِلةٌ تحت قهر الله وسلطانه، فهو سبحانه وتعالى يتصرف فيها كيف يشاء، ويحكم فيها بما يُريد الله سبحانه وتعالى عظيمٌ، ومن عظمته أن السّموات السبع، والأرضين السبع وما فيها في يد الله، كالخردلة في يدِ أحدِنا.

١٢) من عظمة الله أنه إذا تكلم بالأمر، وسمع أهل السّماوات كلامه، أُرْعِدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغَشْي.

١٣) لله تعالى صفاتُ العظمة والعِزَّة والكبرياء، ومن أسمائه المتكبِّر فهو العظيم ذو الكبرياء، والمتعالي عن صفات الخلق، المتنزِّه عن السوء والنقص والعيوب.

١٤) الخلقُ خلقُ الله، والأمر أمره، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا هاديَ لمن أَضلَّ الله، ولا مُضِلَّ لمن هدَى.

١٥) نعم الله تعالى على عباده عظيمة، وحقوقه عليهم كثيرة، والعباد لا يقومون –مهما فعلوا– بحقِّ عبوديته التي يستحقها عليهم، ولا تفي أعمالهم بنجاتهم، فلو عذبهم ربُّهم؛ لعذبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ورحمته سبحانه وتعالى خير لهم من أعمالهم.

١٦) خزائن الله لا تنفد ولا تنقص بالنّفقة والعطاء؛ فهو سبحانه وتعالى يُقسِّمُ الأرزاق، ويجزل العطايا، ويَمُنُّ بفضله على من يشاء من عباده بيمينه، وباليد الأخرى الميزان، يخفض به من يشاء، ويرفع به من يشاء، عدلًا منه وحكمة.

١٧) إنكار البعث يتضمن تكذيب الله تعالى فيما أخبر به على ألسنة رسله، وفي كتابه، ونسبة الولد إليه، سبحانه وتعالى شتمٌ له وتنقص؛ لأنه السيّدُ الصمدُ الغنيُّ، وجميع المخلوقات مفتقِرةٌ إليه.

١٨) لا يَتِمُّ توحيد العبد، وكمال إيمانه، حتى يعترف بتفرد الله تعالى بالنعم الظاهرة والباطنة، ويعترف بتفرده بدفع النقم، ويستعين بنعم الله تعالى على ذكره وشكره وحسن عبادته.

١٩) سبُّ الدهر فيه أذيَّةٌ لله تعالى، وسوءُ أدب معه سبحانه وتعالى.

٢٠) الكون كله خاضِعٌ لله تعالى ولعظمته، شاهدٌ على وحدانيته، وربوبيته سبحانه وتعالى، واستحقاقِه للعبادةِ وحْدَهُ لا شريك له، فالشمس بحجمها تسجدُ تحت العرش كلَّ ليلةٍ، ولا تطلع من المشرق حتى يُؤذن لها.

٢١) عرشُ الرحمن أول المخلوقات، وأعظمُهَا وأثقلُها وزنًا، وهو سقف المخلوقات، محيطٌ بها، وهو كالقبةِ على العالم، والله تعالى قد استوى على عرشه، استواءً يليق بجلاله، وكماله.

٢٢) من سعة رحمة الله تعالى أن رحمته سبقت وغلبت غضبه.

٢٣) التضرع إلى الله تعالى في الدعاء، بتقديم الحمد والثناء عليه، وتمجيده بأسمائه وصفاته، والتّوسّل إليه بعبوديته وتوحيده؛ لا يكاد يُرَدُّ معه الدعاء.

٢٤) الله تعالى سميعٌ بصيرٌ، يسمع جميع الأصوات الظاهرة والباطنة، باختلاف اللغات، على تفنّن الحاجات.

٢٥) من أصول الإيمان: أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو من العلم الذي استأثر الله تعالى به لنفسه، وبيده سبحانه وتعالى وحده خزائِنه، لا يُطْلِعُ عليها إلَّا من شاء من رسله.

٢٦) من عظمة الله تعالى أنه ما من موضعٍ في السماوات السبع إلا وهو مشغولٌ بالملائكة، يتعبَّدونَ لربهم.

٢٧) لا تَصِحُّ الشفاعةُ عند الله تعالى إلا بشرطين:

١. إذن اللهُ تعالى للشافِع أن يشفَع.

٢. ورضا الله عن المشفوع له أن يُشفَعَ فيه، والله تعالى لا يرضى أن يُشفَعَ إلا في أهلِ التوحيد.

٢٨) ميزانُ الأعمالِ ميزانٌ حقيقيٌ محسوسٌ، له لسانٌ وكِفَّتانِ، تُوزَنُ فيه أعمال العباد، ويكون بعد انقضاء الحساب يوم القيامة، فتارةً توزَنُ الأعمال، وتارة توزَنُ صحائف الأعمال، وتارةً يوزَنُ العامِل نفسُهُ، وقد يُوزَنُ كلُّ ذلِك.

٢٩) الصراط جِسرٌ ممدودٌ على متن جهنّم، يمرُّ الناسُ فوقَهُ على قدر إيمانهم.

٣٠) من كمال عدل الله أنه يضع كرسيَّه لفصل القضاء بين خلقه، فيحكُم بينهم بالعدل.

٣١) الحساب يوم القيامة يكون بمقابلة الحسناتِ والسيِّئات، فمن زادت حسناتُه –ولو بواحدة– فقد أفلح ونجا، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته –ولو بواحدة– دخل النار، ومن استوت حسناتُه وسيِّئاتُه؛ كان من أصحابِ الأعراف.